ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين (22) ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون (23) ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (24) ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون (25)

الروم 25 - 21

المخلفين من التنافر يقال سكن إليه إذا مال إليه وجعل بينكم مودة ورحمة أى جعل بينكم التواد والتراحم بسبب الزواج وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد وقيل المودة للشابة والرحمة للعجوز وقيل المودة والرحمة من الله والفرك من الشيطان أى بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ان قوام الدنيا بوجودج التناسل ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم أى اللغات أو اجناس النطق واشكاله وألو انكم كالسواد والبياض وغيرهما ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو تشا كلت واتفقت لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت المصالح وفى ذلك آيه بينة حيث ولدوا من أب واحد وهم على الكثرة التى لا يعلمها إلا الله متفاوتون ان فى ذلك لآيات للعالمين جمع عالم وبكسر اللام حفص جمع عالم ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم فى الومانين وابتغاؤكم فيهما والجمهور على الأول لتكرره فى القرآن وأسد المعانى ما دل عليه القرآن ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون أى يسمعون سماع تدبر بآذان واعية ومن آياته يريكم البرق فى يريكم وجهان اضمار ان كما فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدى خير من ان تراه أى ان تسمع أو سماعك خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا فى الغيث أو خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف إليه مقامه أى إرادة خوف وإرادة طمع أو على الحال أى خائفين وطامعين وينزل من السماء وبالخفيف مكى وبصرى ماء مطرا فيحى به الأرض بعد

موتها أن فى ذلك لآيات لقوم يقعلون يتفكرون بعقولهم ومن آياته ان تقوم تثبت بلا عمد السماء والأرض بأمره أى بإقامته وتدبيره وحكمته ثم إذا دعاكم للبعث دعوة من الأرض إذا انتم تخرجون من قبوركم هذا كقوله يريكم فى ايقاع الجملة موقع المفرد على

وله من في السماوات والأرض كل له قانتون (26) وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (27) ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون (28)

الروم 28 - 26
المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والأرض واستمسا كها بغير عمد ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور أخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظنرون وإذا الأولى للشرط والثانية للمفاجأة وهى تنوب مناب الفساء فى جواب الشرط ومن الأرض متعلق بالفعل لا بالمصدر وقولك دعوته من مكان كذا يجوز ان يكون مكانك ويجوز أن يكون مكان صاحبك وله من فى السموات والأرض كل له قانتون منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه أو مقرون بالعبودية وهو الذى يبدؤا الخلق اى ينشئهم ثم يعيده للبعث وهو أى البعث أهون أيسر عليه عندكم لأن الاعادة عندكم أسهل من الانشاء فلم أنكرتم الاعادة وأخرت الصلة فى قوله وهو أهون عليه وقدمت فى قوله هو على هين لقصد الاختصاص هناك واما هنا فلا معنى للاختصاص وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما الا هون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله أكبراى كبير والاعادة فى نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الانشاء أو هو أهون على الخلق من الانشاء لأن قيامهم بصيحة واحدة أسهل من كونهم نطفا ثم علقا ثم مضغا إلى تكميل خلقهم وله المثل الا على فى

السموات والأرض أى الوصف الا على الذى ليس لغيره وقد عرف به ووصف فى السموات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وهو أنه القادر الذى لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز أى القاهر لكل مقدور الحكيم الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما المثل الاعلى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وعن مجاهد هو قول لا إله إلا الله ومعناه وله الوصف الارفع الذى هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم فهذا مثل ضربة الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه من للابتداء كانه قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهى أنفسكم هل لكم معاشر الاحرار مما ملكت أيمانكم عبيدكم ومن التبعيض ومن شركاء من مريدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ومعناه هل ترضون لا نفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيدان بشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الأموال وغيرها فأنتم معاشر الاحرار والعبيد

بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين (29) فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (30) منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين (31) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون (32)

الروم 30 - 28
فيه فى ذلك الرزق سواء من غير تفصلة بين حر وعبد يحكم مما ليككم فى أموالكم كحكمكم تخافونهم حال من ضميرالفاعل فى سواء اى متساوون خائفا بعضكم بعضا مشاركته فى المال والمعنى تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تمضون فيها حكما دون إذنهم خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم كخيفتكم أنفسكم يعنى كما يخاف بعض الاحرار بعضا فيما هو مشترك بينهم فإذا لم يرضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار ومالعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك موضع الكاف نصب أى مثل هذا

التفصيل نفصل الآيات نبينها لان التمثل مما يكشف المعانى ويوضحها لقوم يعقلون بتدبرون فى ضرب الامثال فلما لم ينزجروا أضرب عنهم فقال بل اتبع الذين ظلموا أنفسهم بما أشركوا كما قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم أهواءهم بغير بغير علم أى اتبعوا أهواءهم جاهلين فمن يهدى من أضل الله أى أضله الله تعالى وما لهم من ناصرين من العذاب فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعد له غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه واهتمامة بأسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه حنيفا حال من المامور أو من الدين فطرت الله أى الزموا فطرة الله والفطرة الخلقية ألا ترى إلى قوله لا تبديل لخلق الله فالمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد والإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الجن والإنس ومنه قوله عليه السلام كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بى غيرى وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقال الزجاج معناه أن الله تعالى فطر الخلق على الإيمان به على ما جاء في الحديث ان الله عز وجل أخرج من صلب آدم كالدر وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم فقال وإذ أخذر بك إلى قوله قالوا بلى وكل مولود هو من تلك الذرية التى شهدت بأن الله تعالى خالقها فمعنى فطرة الله دين الله التى فطر الناس عليها أى خلق لاتبديل لخلق الله أى ما ينبغى أن تبدل تلك الفطرة أو تغير وقال الزجاج معناه لا تبديل لدين الله ويدل عليه ما بعده وهو قوله ذلك الدين القيم أى المستقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون حقيقةذلك منيبين إليه راجعين إليه وهو حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا

وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون (33) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (34) أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون (35) وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون (36) أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (37) فآت

ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون (38)

الروم 38 - 31
تكونوا معطوف على هذا المضمر او من قوله فاقم وجهك لان الامر له عليه السلام امر لامته فكانه قال فاقيموا وجوهكم منيبين إليه أو التقدير كونوا منيبين دليله قوله ولا تكونوا واتقووه أقيموا الصلوة أى أدوها فى أوقاتها ولا تكونوا من المشركين ممن يشرك به غيره فى العبادة من الذين بدل من المشركين باعادة الجار فرقوا دينهم جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم فارقوا حمزة وعلى وهى قراءة على رضى الله عنه أى تركوا دين الإسلام وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذى أضلها كل حزب منهم بماليديهم فرحون فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا وإذا مس الناس ضر شدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذ وإذاقهم منه رحمة أى خلاصا من الشدة إذا فريق منهم بربهم يشركون فى العبادة ليكفروا هذه لأم كى وقيل لام الأمر الوعيد بما آتيناهم من النعم فتمتعوا بكفركم قليلا أمر وعيد فسوف تعلمون وبال تمنعكم أم أنزلنا عليهم سلطانا حجة فهو يتكلم وتكلما مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته بما كانوا به يشركون ما مصدرية أى بكونهم بالله يشركون أو موصوله ويرجع الضمير إليها أى فهو يتكلم بالأمر الذى بسببه يشركون أو معنى الآية أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون وإذا أذقنا الناس رحمة أى نعمة من مطر أوسعة أوصحة فرحوا بها بطروا بسببها وإن تصبهم سيئة أى بلاء من جذب أو ضيق أو مرض بما قدمت أيديهم بسبب شؤم معاصيهم إذا هم يقنطون من الرحمة إذ المفاجأة جواب الشرط نابت عن الفاء لتآخيهما فى التعقيب أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدران فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون أنكر عليهم بأنهم قد علموا بأنه القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمته ومالهم لا يرجعون إليه تائبين عن المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد اليهم رحمته ولما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك فقال فآت ذا القربى

وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (39) الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون (40) ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون (41)

الروم 41 - 38
أعط قريبك حقه من البر ولصلة والمسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم كما هو مذهبنا ذلك أى ايتاء حقوقهم خير الذين يريدون وجه الله أى ذاته أى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس يريد وما أعطيتم أكله الربا من ربا ليربوا فى أموالهم فلا يربوا عند الله فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الربا الحلال أى وما تعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلا يربوا عند الله لأنكم لم تريدوا بذلك وجه الله وما آتيتم من زكوة صدقة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء ولاسمعة فأولئك هم المضعفون ذوو الأضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر الذى القوه واليسار أتيتم من ربا بلا مد مكى أى وما غشيتموه من اعطاء ربا لتربوا مدنى أى لتزيدوا فى أموالهم وقوله فأولئك هم المضعفون التفات حسن لأنه يفيد التعميم كانه قيل من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين والمعنى المضعفون به لأنه لا بدله من ضمير يرجع إلى ما الموصولة وقال الزجاج فى قوله فأولئك هم المضعفون أى فأهلها هم المضعفون أى هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر امثالها ثم أشار إلى عجز آلهتهم فقال الله الذى خلقكم مبتدأ وخبر ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم أى هو المختص بالخلق والرزق والاماتة والإحياء هل من شركائكم أى أصنامكم التى زعمتم أنهم شركاء لله من يفعل من ذلكم أى من الخلق والرزق والاماتة والإحياء من شيء أى شيئا من تلك الأفعال فلم يجيبوا عجزا فقال إستبعادا سبحانه وتعالى عما يشركون ومن الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد

لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد فى البروالبحر نحو القحط وقلة الأمطار والريع فى الزراعات والربح فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات من كل شئ بما كسبت أيدى الناس بسبب معاصيهم وشركهم كقوله وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ليذيقهم بعض الذى عملوا أى ليذيقهم وبال بعض أعمالهم فى الدنيا قبل أن يعاقبهم بجمعها فى الآخرة وبالنون عن قنبل لعلهم يرجعون عما هم عليه من المعاصى ثم

قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين (42) فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون (43) من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون (44) ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين (45) ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (46)

الروم 46 - 42

أكد تسبيب المعاصى لغضب الله ونكاله بقوله قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم فأقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة الذى لا يتأتى فيه عوج من قبل أن يأتى يو لا مرد له هو مصدر بمعنى الرد من الله يتعلق بيأتى والمعنى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو بعد أن يجيء به ولا رد له من جهته يومئذ يصدعون يتصدعون أى يتفرقون ثم أشار إلى غناه عنهم فقال من كفر فعليه كفره أى وبال كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون أى يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذى يمهد لنفسه فراشة ويوطئه لئلا يصيبه فى مضجمه ما ينغص عليه مرقده من نتوء وغيره والمعنى أنه يمهد لهم الجنة بسبب أعمالهم فاضيف اليهم وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر ومنفعة الإيمان والعمل الصالح

يرجع إلى المؤمن لا تجاوزه ليجزى متعلق ببمهدون تعليل له وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير إلى الصريح لتقدير أنه لا يفلخ عنده إلا المؤمن من فضله أى عطائه وقوله أنه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ومن آياته أى ومن آيات قدرته أن يرسل الرياح هى الجنوب والشمال والصبا وهى رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام للهم اجعلها رياحا ولا تحعلها ريحا وقد عدد الفوائد فى إرسلها فقال مبشرات أى أرسلها للبشارة بالغيث وليذيقكم من رحمته ولاذاقة الرحمة وهى نزول المطر وحصول الخصب الذى يتبعه والروح الذى مع هبوب الريح وزكاء الأرض وغير ذلك وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم ولتجرى الفلك فى البحر عند هبوبها بأمره أى بتدبيره أو تكوينه كقوله إنما أمره إذا اراد شئيا الآية ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا

ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين (47) الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون (48) وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين (49) فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير (50) ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون (51)

الروم 51 - 47

نعمة الله فيها ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات أى فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم ويدل على هذا الأضمار قوله فانتقمنا من الذين أجرموا أى كفروا بالاهلاك فى الدينا وكان حقا علينا نصر المؤمنين أى وكان نصر المؤمنين حقا علينا بانجائهم مع الرسل وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم تبتدىء علينا نصر المؤمنين والأول أصح الله الذى يرسل الرياح الريح مكى فتثير سحابا فيبسطه أى السحاب فى السماء أى فى سمت السماء وشقها كقوله وفرعها فى السماء كيف يشاء من ناحية

الشمال أو الجنوب أو الدبور أو الصبا ويجعله كسفا قطعا جمع كسفة أى يجعله منبسطا يأخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعا متفرقة غير منبسطة مرة كسفا يزيد وابن ذ كوان فترى الودق المطر يخرج فى التارتين جميعا من خلاله وسطه فإذا أصاب به بالودق من يشاء من عباده يريد اصابة بلادهم وأراضهم إذا هم يستنشرون يفرحون وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبله كرر للتأكيد كقوله فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيها الدلاله على ان عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم يأسهم فكان لا ستبشار على قبرا اعتمامهم بذلك لمبلسين آيسين فانظر إلى آثار شامى وكوفى غير أبى بكر وغيرهم أثر رحمت الله اى المطر كيف يحى الأرض بالنبات وأنواع الثمار بعد موتها إن ذلك أى الله لمحى الموتى يعنى أن ذلك القادر الذى يحى الأرض بعد موتها هو الذى يحى الناس بعد موتهم فهذا استدلال باحياء الموات على احياء الأموات وهو على كل شئ قدير أى وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء ولئن أرسلنا ريحا أى الدبور فرأوه أى أثر رحمة الله لأن رحمة الله هى الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنآثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمى به ما ينبت مصفرا بعد اخضراره وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثةوقيل فرأوا

فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين (52) وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (53) الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (54) ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون (55)

الروم 55 - 51
السحاب مصفرا لأن السحاب الاصفر لا يمطر واللام فى لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وسد مسد جوابى القسم والشرط لظلوا ومعناه ليظلن من بعده يكفرون أى من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار ذمتهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم المطر قنطوا من

رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم فى جمع هذه الأحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ففرحوا وان يصبروا على بلائه فكفروا فإنك لا نسمع الموتى أى موتى القلوب أو هؤلاء فى حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك ولا تسمع الصم الدعاء ولا يسمع الصم مكى إذا ولوا مدبرين فإن قلت الاصم لا يسمع مقبلا أو مدبرا فما فائدة هذا التخصيص قلت هو إذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فإذا ولى لا يسمع ولا يفهم بالإشارة وما أنت بهادى العمى أى عمى القلوب وما أنت تهدى العمى حمزة عن ضلالتهم أى لا يمكنك أن تهدى الاعمى إلى طريق قد ضل عنه باشارة منك له إليه إن تسمع ما نسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون منقادون لأوامر الله تعالى الله الذى خلقكم من ضعف من النطف كقوله من ماء مهين ثم جعل من بعد ضعف قوة يعنى حال الشباب وبلوغ الاشد ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يعنى حال الشيخوخة والهرم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشباب وشيبة وهو العليم باحوالهم القدير على تغييرهم وهذا الترديد فى الأحوال أبين دليل على الصانع العليم القدير فتح الضاد فى الكل عاصم وحمزة وضم غيرهما وهو اختيار حفص وهما لغتان والضم أقوى فى القراءة لما روى عن ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأنى من ضعف ويوم تقوم الساعة أى القيامة سميت بذلك لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدينا أو لأنها تقع بغية كما تقوم فى ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا يقسم المجرمون يحلف الكافرون ولا وقف عليه لأن مالبثوا فى القبور أو فى الدينا غير ساعة جواب القسم استقلوا مدة لبثهم فى القبور أو فى الدنيا لهول يوم

وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون (56) فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون (57) ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون (58) كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون (59) فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون (60)

القيامة وطول مقامهم فى شدائدها أو ينسون أو يكذبون كذلك كانوا
يؤفكون أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق إلى الكذب
فى الدنيا ويقولون ما هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمنعوثين وقال
الذين أوتوا العلم والإيمان هم الانبياء والملائكة والمؤمنون لقد لبثتم
فى كتاب الله فى علم الله المثبت فى اللوح أو فى حكم الله وقضائه
إلى يوم البعث ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم
وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث
ولكنكم كنتم فى الدنيا لا يعلمون أنه حق لتفريطكم فى طلب الحق
واتباعه والغاء لجواب شرط يدل عليه الكلام تقديره ان كنتم منكرين
البعث فهذا يوم البعث الذى أنكرتموه فيومئذ لا ينفع بالياء كوفى
الذين ظلموا كفروا معذرتهم عذرهم ولا هم يستعتبون أى لا يقال لهم
ارضوا ربكم بتوبة من قولك استعتبنى فلان فاعتبته أى استرضانى
فارضيته ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم
بآيه ليقولن الذين كفروا ان أنتم إلا مبطلون أى ولقد وصفنا لهم كل
صفة كأنها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن
كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما
لا ينفع من اعتذارهم ولايسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم
إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل كذلك يطبع
الله على قلوب الذين لا يعلمون أى مثل ذلك الطبع وهو الختم يطبع
الله على قلوب الجهلة الذين علم الله منهم اختيار الضلال حتى
يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله فى تلك الصفة فاصبر
على أذاهم أو عداوتهم ان وعد الله بنصرتك على أعدائك وإظهار دين
الإسلام على كل دين حق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يستخفنك
الذين لا يوقنون أى لا يحملنك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على
الخفة والعجلة فى الدعاء عليهم بالعذاب أو لا يحملنك على الخفة
والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فإنهم ضلال شاكون لا يستبدع
منهم ذلك ولا يستخفنك بسكون النون عن يعقوب والله الموفق
للصواب

الم (1) تلك آيات الكتاب الحكيم (2) هدى ورحمة للمحسنين (3)

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون (4)
أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (5) ومن الناس
من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا
أولئك لهم عذاب مهين (6)

لقمان 6 - 1
سورة لقمان مكية وهى ثلاث أو أربع وثلاثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
ألم تلك آيات الكتاب الحكيم ذالحكمة أو وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي هدى ورحمة حالان من الايات والعامل معنى الاشارة في تلك حمزة بالرفع على ان تلك مبتدأ وآيات الكتاب خبره وهدى خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو هو أي هدى ورحمة للمحسنين للذين يعملون الحسنات المذكورة في قوله الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون ونظيره قول اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا أو للذين يعملون جميع ما يحسن ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاثة لفضلها أولئك على هدى مبتدا وخبر من ربهم صفة لهدى واولئك هم المفلحون عطف عليه ومن الناس من يشتري لهو الحديث نزلت في النضر بن الحرث وكان يشترى اخبار الا كاسرة من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فانا احدثكم بأحاديث الا كاسرة فيميلون الى حديثه ويتركون استماع القرآن واللهو كل باطل الهى عن الخيروعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالأساطير التي لا أصل لها والغناء وكان ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما يحلفان أنه الغناء وقيل الغناء مفسدة للقلب منفذة للمال مسخطة للرب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت والاشتراء من الشراء كما روى عن النضر أو من قوله اشتروا الكفر بالايمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه أي يختارون حديث الباطل على حديث الحق واضافة اللهو الى الحديث للتبيين بمعنى من لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش او للتبعيض كانه قيل ومن الناس من يشتري

بعض الحديث الذي هو اللهو منه ليضل اى ليصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ليضل مكى وأبو عمرو أي

وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم (7) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم (8) خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم (9) خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم (10) هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين (11)

لقمان 11 - 6
ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ويزيد فيه عن سبيل الله عن دين الاسلام والقرآن بغير علم أى جهلا منه بما عليه من الوزرية ويتخذها أى السبيل بالنصب كوفى غير أبى بكر عطفا على ليضل ومن رفع عطفه على يشترى هزؤا بسكون الزاى والهمزة حمزة وبضم الزاى بلا همز حفص وغيرهم بضم الزاى والهمزة أولئك لهم عذاب مهين أى يهينهم ومن لا بهامه يقع على الواحد والجمع أى النضر وأمثاله وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا أعرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن الاصغاء إلى القرآن كأن لم يسمعها يشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والأصل كأنه والضمير ضمير الشأن كان فى أذنيه وقرا ثقلا وهو حال من لم يسمعها أذنية نافع فبشره بعذاب أليم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم ولا وقف عليه لأن خالدين فيها حال من الضمير فى لهم وعد الله حقا مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره إذلهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد وحقا يدل على معنى الثبات فأكد به معنى الوعد ومؤكدهما لهم جنات النعيم وهو العزيز الذى لا يغلبه شئ فيهين أعداءه بالعذاب المهين الحكيم بما يفعل فيثيب أولياءه بالنعيم المقيم خلق السموات بغير عمد جمع عماد ترونها الضمير للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح ترانى ولا محل لها من الاعراب لأنها مستأنفة أو فى محل

الجر صفة لعمد أي بغير عمد مرئية يعنى أنه عمدها بعمد لا ترى وهو امساكها بقدرته وألقى فى الأرض رواسى جبالا ثوابت أن تميد بكم لئلا تضطرب بكم وبث ونشر فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج صنف كريم حسن هذا اشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته خلق الله أى مخلوقه فأرونى ماذا خلق الذين من دونه يعنى آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله فأرونى ما خلقته آلهتكم حتى

ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد (12) وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (13) ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير (14) وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (15)

لقمان 14 - 11
استوجبوا عندكم العبادة بل الظالمون فى ضلال مبين أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط فى ضلال ليس بعده ضلال ولقد آتينا لقمان الحكمة وهو لقمان بن باعوراء بن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفى إذا كفيت وقيل كان خياطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقيل كان قاضيا فى بنى إسرائيل وقال عكرمة والشعبى كان نبيا والجمهور على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وهى الاصابة فى القول والعمل وقيل تتلمذ لألف نبى وتتلمذ له ألف نبى وأن فى أن اشكر لله مفسرة والمعنى أى اشكر لله لأن إيتاء الحكمة فى معنى القول وقد نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقى هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر إيتاء الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون الرجل حكيما حتى يكون حكيما فى قوله وفعل ومعاشرته وصحبه وقال السرى السقطى الشكر أن لا نعصى الله

بنعمه وقال الجنيد أن لا ترى معه شريكا فى نعمة وقيل هو الاقرار بالعجز عن الشكر والحاصل أن شكرالقلب المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الاركان الطاعة ورؤية العجز فى الشكل دليل قبول الكل ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لأن منفعته تعود إليه فهو يريد المزيد ومن كفر النعمة فان الله غنى غير محتاج إلى الشكر حميد حقيق بأن يحمدو ان لم يحمده أحد وإذ أى واذكر إذ قال لقمان لابنه أنعم أو اشكر وهو يعظه يا بنى الاسكان مكى يا بنى حفض بفتحه فى كل القرآن لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم لأنه تسوية بين من لا نعمة الا وهى منه ومن لا نعمة له أصلا ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن أى حملته تهن وهنا على وهن أى تضعف ضعفا فوق ضعف أى يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد أو عظم ازدادت ثقلا وضعفا وفصاله فى عامين أى فطامة عن الرضاع لتمام عامين أن اشكر لى ولوالديك هو تفسير لو صينا أى وصيناه بشكرنا وبشكر والديه وقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين اعتراض بين المفسر والمفسر لأنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانية من المشاق فى حمله وفصاله هذه المدة الطويلة تذكيرا بحقها العظيم مفردا وعن ابن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين

يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير (16) يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور (17)

لقمان 17 - 15

فى أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما إلى المصير أى مصيرك إلى وحسابك على وأن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم أراد بنفى العلم به نفيه أى لا تشرك بى ماليس بشيء يريد الأصنام فلا تطعهما فى الشرك وصاحبهما فى الدنيا معروقا صفة مصدر محذوف أى صحابا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال بر وصلة واتبع سبيل من أناب إلى أى سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما فى الدنيا وقال ابن

عطاء صاحب من ترى عليه أنوار خدمتى ثم إلى مرجعكم أ بمرجعك ومرجعهما فأنبئكم بما كنتم تعملون فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما وقد اعترض بهابين الآيتين على سيبل الاستطراد تأكيدا لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك يعنى إنا وصيناه بوالديه وامرناه أن لا يطيعهما فى الشرك وإن جهدا كل الجهد لقبحه يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل بالرفع مدنى والضمير للقصة وأنث المثقال لإضافته إلى الحبة كما قال
كما شرقت صدر القناة من الدم
وكان تامة والباقون بالنصب والضمير للهيئة من الإساءة والإحسان أى إن كانت مثلا في الصغر كحبة خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض أى فكانت مع صغرها فى أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت فى العالم العلوى أو السفلى والأكثر على أنها التى تمليها الأرض وهى السجين بكتب فيها أعمال الفجار وليست من الأرض يأت بها الله يوم القيامة فيحاسب بها عاملها إن الله لطيف بتوصل علمه إلى كل خفى خبير عالم بكنهه أو لطيف باستخراجها خبير بمستقرها يا بنى أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك فى ذات الله تعالى إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ما أصابك من المحن فإنها تورث المنح إن ذلك الذى وصيتك به من عزم الأمور أى مما عومه الله من الأمور أى قطعه قطع إيجاب وإلزام أى أمر به أمرا حتما وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أى مقطوعاتها

ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور (18) واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير (19) ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (20)

لقمان 20 - 18
ومفروضانها وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأمورا بها فى سائر الأمم ولا تصغر خدك للناس أى ولاتعرض عنهم تكبرا تصاعر أبو

عمرو ونافع وحمزة وعلى وهو بمعنى تصعر والصعير داء يصيب
البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا
تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون ولا تمشى فى
الأرض مرحا أى تمرح مرحا أو أوقع المصدر موقع الحال أ بمرحا أو لا
تمشى لأجل المرح والأشر ان الله لا يحب كل مختال متكبر فخور من
يعدد مناقبه تطاولا واقصد القصد التوسط بين العلو والتقصير فى
مشيك أى اعل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب
المتماوتين ولا تثب وثوب الشطار قال عليه السلام سرعة المشى
تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة فى عمر رضى الله تعالى عنه
كان إذا مشى أسرع فانما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب
المماوت وعن ابن مسعود رضى الله عنه كانوا ينهون عن خيب
اليهود ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقبل معناه وانظر موضع
قدميك متواضعا واغضض من صوتك وانقص منه اى اخفض صوتك ان
أنكر الأصوات أى أوحشها لصوت الحمير لأن أوله زفير وآخره شهيق
كصوت أهل النار وعن الثورى صباح كل شيء تسبيح إلا الحمار فإنه
يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله منكرا وفى تشبيه الرافعين
أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيه على أن رفع الصوت
فى غاية الكراهة يؤيده ما روى أنه عليه السلام كان يعجبه أن يكون
الرجل خفيض الصوت ويكره أن يكون مجهور الصوت وإنما وحد
صوت الحمير ولم يسمع لأنه لم يرد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد
هذا الجنس حتى يجمع بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت
وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده ألم
تروا أن الله سخر ما فى السموات يعنى الشمس والقمر والنجوم
والسحاب وغير ذلك وما فى الأرض يعنى البحار والأنهار والمعادن
والدواب وغير ذلك وأسبغ وأتم عليكم نعمه مدنى وأبو عمرو وسهل
وحفص نعمته وغيرهم والنعمة كل نفع قصد به الإحسان ظاهرة
بالمشاهدة وباطنه ما لا يعلم إلا بدليل ثم قيل الظاهرة البصر
والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل
والفهم وما أشبه ذلك ويروى فى دعاء موسى عليه السلام إلهى دلنى
على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى تعمتى عليهم النفس وقبل
تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع والخلق والخلق ونيل العطايا
وصرف البلايا وقبول الخلق ورضا الرب وقال ابن عباس الظاهرة ما
سوى

وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير (21) ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور (22) ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور (23) نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ (24) ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (25) لله ما في السماوات والأرض إن الله هو الغني الحميد (26)

لقمان 26 - 20

من خلقك والباطنة ما ستر من عيوبك ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير نزلت فى النضر بن الجرث وقد مر فى الحج وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نقع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أى فى حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب ومن يسلم وجهه إلى الله عدى هنا بالى وفى بلى من أسلم وجهه لله باللام فمعناه مع اللام أنه جعل وجهه وهوذاته ونفسه سالما لله أى خالصا له ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه وهو محسن فيما يعمل فقد استمسك تمسك وتعلق بالعروة هى ما يعلق به الشيء الو ثقى تأنيث الا وثق مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه والى الله عاقبة الأمور أى هى صائرة اليه فيجازى عليها ومن كفر ولم يسلم وجهه لله فلا يحزنك كفره من حزن يحزنك نافع من أحزن أى لا يهمنك كفر من كفر الينا مرجعهم فنبئهم بما عملوا فنعاقبهم على أعمالهم ان الله عليم بذات الصدور ان الله يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه تمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم نلجئهم الى عذاب غليظ شديد شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم إياه باضطرار المضطر الى الشيء والغلظ مستعار من الاجرام الغيظة والمراد الشدة والثقل على العذب ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بأن الذى خلق السموات والارض

هو الله وحده وأنه يجب ان يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال بل أكثرهم لا يعلمون أن ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم يتنبهوا لله ما فى السموات والأرض ان الله هو الغنى عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمدوه قال المشركون ان هذا أى الوحى كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه

ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم (27) ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير (28) ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير (29)

لقمان 29 - 27

لا ينفد بقوله ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب عطفا على اسم أن وهو ما والرفع على محل أن ومعمولها أى ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الاشجار أقلام فى حال كون البحر ممدودا وقرىء يمده وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو ان الشجر أقلام والبحر مداد لكن أعنى عن ذكر المداد قوله يمده لأنه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوأة مدادا فهى نصب فيه مدادها أبدا صبالا ينقطع والمعنى ولو أن اشجار الارض أقلام والبحر ممدودا بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى فان قلت رعمت أن قوله والبحر يمده حال فى أحد وجهى الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذى الحال قلت هو كقولك جئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الأحوال التى حكمها حكم الظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد لأنه أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد بريت أقلاما وأوثر الكلمات وهى جمع قلة على الكلم وهى جمع كثيرة لأن معناه ان كلماته لا تفى بكتبتها البحار فكيف بكلمة ان الله

عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء فلا تنفد كلماته وحكمه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة فحذف للعلم به أى سواء فى قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن ان الله سميع لقول المشركين انه لا بعث بصير بأعمالهم فيجازنهم ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار يدخل ظلمة الليل فى ضوء النهار اذا أقبل الليل ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر لمنافع العباد كل أى كل واحد من الشمس والقمر يجرى فى فلكه ويقطعه الى أجل مسمى إلى يوم القيامة أو الى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وأن الله بما تعملون خبير وبالياء عياش دل أيضا بتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين

ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير (30) ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (31) وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور (32) يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (33)

لقمان 33 - 30

فى فلكيهما على تقدير وحساب وباحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكمال حكمته ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون بالياء عراقى فى غير أبى بكر من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير أى ذلك الوصف الذى وصف به من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى يدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الالهية وأن من دونه باطل الالهية وأنه هو العلى الشأن الكبير السلطان ألم تر أن الفلك وقرىء الفلك وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز فى كل فعل فعل تجرى فى البحر بنعمت الله باحسانه ورحمته أو بالريح لأن الريح من نعم الله ليريكم من آياته عجائب قدرته فى البحر إذا ركبتموها إن فى ذلك

لآيات لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فالايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكانه قال إن فى ذلك لآيات لكل مؤمن وإذا غشيهم أى الكفار موج كالظلل الموج يرتفع فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل او سحاب أو غيرهما دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد أى باق على الايمان والاخلاص الذى كان منه ولم يعد إلى الكفر او مقتصد فى الاخلاص الذى كان عليه فى البحر يعنى أن ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد قليل نادر وما يجحد بآياتنا أى بحقيقتها الا كل ختار غدار والختر أقبح الغدر كفور لربه يا أيها الناس اتقوار بكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده لا يقضى عنه شيئا والمعنى لا يجزى فيه فحذف ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لأن الجملة الاسمية آكد من الجملة الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب فى ذلك أن الخطاب للمؤمنين وعليهم قبض آباؤهم على الكفر فأريدهم اطماعهم أن ينفعوا آباءهم بالشفاعة فى الآخرة ومعنى التأكد فى لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لأجداده إذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك كذ انى الكشاف إن وعد الله بالبعث والحساب والجزاء

إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير (34)

لقمان 34 - 33

حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بزينتها فان نعمتها دانية ولدتها فانية ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان أو الدنيا أو الأمل إن الله عنده علم الساعة أى وقت قيامها وينزل بالتشديد شامى ومدنىوعاصم وهو عطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل تقديره ان الله يثبت عنده علم الساعة وينزل الغيث فى ابانه من غير تقديم ولا تأخير ويعلم ما فى الأرحام أذكر أم أنثى وتام ناقص وما تدرى نفس برة أو فاخرة ماذا تكسب غدا من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت

شرا أو عازمة على شر فعملت خيرا وما تدرى نفس بأى أرض تموت أى أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أو تادها وقالت لا أبرحها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها روى أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال له ملك الموت قال كانه يريدنى وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى إليه تعجبا منه لأنى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبيد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وان أعملت حيلها ما يختص بها ولا شيء أخص بالانسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان معرفة ما عداهما أبعد وأما المنجم الذى يخبر بوقت الغيث والموت فانه يقول بالقياس والنظر فى الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيبا على أنه مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب ورأى المنصور فى منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمس فعبرها المعبرون بخمس سنوات وبخمسة أشهر وبخمسة أيام فقال أبو حنيفة رضى الله عنه هو اشارة إلى هذه الآية فإن هذه العلوم الخمسة لا يعلمها إلا الله إن الله عليم بالغيوب خبير بما كان ويكون وعن الزهرى رضى الله تعالى عنه أكثروا قر اءة سورة لقمان فإن فيها أعاجبب والله أعلم

الم (1) تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (2) أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون (3) الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون (4) يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون (5)

السجدة 5 - 1

سورة السجدة الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العلمين

سورة السجدة مكية وفى ثلاثون آيه مدنى وكوفى وتسع وعشرون آية يصرى
بسم الله الرحمن الرحيم
الم على انها اسم السورة مبتدأ وخبره تنزيل الكتاب وإن حعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره لا ريب فيه أو يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير فى فيه راجع إلى مضمون الجملة كانه قال لا ريب فى ذلك أى فى كونه منزلا من رب العالمين لأنه معجز للبشر ومثله ابعد شيء من الريب ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون افتراه أى اختلقه محمد لأن أم هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة معناه بل أيقولون افتراه انكارا لقولهم وتعجبنا منهم لظهور أمره فى عجز بلغئهم عن مثل ثلاث آيات منه بل هو الحق ثم اضرب عن الانكار إلى اثبات أنه الحق من ربك ولم يفتره محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا تعنتا وجهلا لتنذر قوما أى العرب ما أتاهم من نذير من قبلك ما للنفى والجملة صفة لقوما لعلهم يهتدون على الترجى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجى من موسى وهرون الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش استولى عليه باحداثه ما لكم من دونه من دون الله من ولى ولا شفيع أى إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا أى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم أفلا تتذكرون تتعظون بمواعظ الله يدبر الأمر أى أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة ثم يعرج إليه ذلك الأمر كله أى يصير إليه ليحكم فيه فى يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة مما تعدون من أيام الدنيا ولاتمسك للمشبهة بقوله إليه فى إثبات الجهة لأن معناه إلى حيث يرضاه أو أمره كما لاتشبث لهم بقوله إنى ذاهب إلى

ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم (6) الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين (7) ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (8) ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون (9) وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون (10) قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون (11)

السجدة 11 - 6
ربى إنى مهاجر إلى ربى ومن يخرج من بيته مهاجر إلى الله ذلك عالم الغيب والشهادة أى الوصوف بما مر عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه العزيز الغالب امره الرحيم البالغ لطيفه وتيسيره وقيل لا وقف عليه لأن الذى صفته أحسن كل شيء أى حسنه لأن كل شيء مرتب على ما اقتضته الحكمة خلقه كوفى ونافع وسهل على الوصف أى كل شيء خلقه فقد أحسن خلقه غيرهم على البدل أى أحسن خلق كل شيء وبدأ خلق الإنسان آدم من طين ثم جعل نسله ذريته من سلالة من نطفة من ماء أى منى وهو بدل من سلالة مهين ضعيف حقير ثم سواه قومه كقوله فى أحسن تقويم ونفخ أدخل فيه من روحه الإضافة للاختصاص كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذى اختص هو به وبعلمه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون أى تشكرون قليلا وقالوا القائل أبى بن خلف ولرضاهم بقوله أسند إليهم ألذا صللنا فى الارض أى صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء فى اللبن أو غبنا في الأرض بالدفن فيها وقرأ علي ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وانتصب الظرف في أئذا ضللنا بما يدل عليه أئنا لفى خلق جديد وهو نبعث بل هم بلقاء ربهم كافرون جاحدون لما ذكر كفرهم بالبعث اضرب عنه إلى ما هو أبلغ وهو انهم كافرون بجميع ما يكون فى العاقبة لا بالبعث وحدة قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون أى يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بقبض أرواحكم ثم ترجعون إلى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لفاء الله والتوفى استبفاء النفس وهى الروح أى يقبض أرواحكم أجمعين من قولك توفيت حقى من فلان إذا أخذته وافيا كملا من غير نقصان وعن مجاهد حويت لملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الآمر لذلك كله وهو الخالق لأفعال المخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الانفس

ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا

فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون (12) ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (
13) فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون (14) إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها
خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون (15) تتجافى
جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم
ينفقون (16) فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما
كانوا يعملون (17)

السجدة 16 - 12

حين موتها ولو ترى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ولو امتناعيه والجواب محذوف أي لرايت أمرا عظيما إذا لمجرمون هم الذين قالوا أئذا ضللنا فى الأرض ولو واذ للمضى وانما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزله الموجود لا يقدر لنرى ما يتناوله كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له ناكسوا رءوسهم من الذل والحياء والندم عند ربهم عند حساب ربهم ويوقف عليه لحق الحذف اذ التقدير يقولون ربنا أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عميا وصما فأبصرناوسمعنا فارجعنا إلى الدنيا نعمل صالحا أى الإيمان والطاعة إنا موقنون بالبعث والحساب الآن ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فى الدنيا أى لو شئنا أعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذى لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا لكن لم نعطهم ذلك الطف لما علمنا منهم اختيار الكفر وإيثاره وهو حجة على المعتزلة فإن عندهم شاء الله أن يعطى كل نفس ما به اهتدت وقد أعطاها لكنها لم تهدوهم أولوا الآية بمشيئة الجبر وهو تأويل فاسد لما عرف فتبصر الأدلة ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ولكن وجب القول منى بما علمت أنه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم أنهم يختارون الرد والتكذيب وفى تخصيص الإنس والجن اشارة إلى أنه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم فذوقوا العذاب بما نسيتم لقاء بما تركتم من علم لقاء يومكم هذا وهو الإيمان به انا نسيناكم تركنا كم فى العذاب كالمنسى وذوقوا عذاب الخلد أى العذاب الدائم للذى لا انقطاع له بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصى إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها أى وعظوا بها خروا سجدا سجدوا لله تواضعا

وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الإسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله عما لا يليق به واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون عن الإيمان به والسجود له تتجافى ترتفع وتتنحى جنوبهم عن المضاجع عن الفرش ومضاجع النوم قال سهل وهب لقوم هبة وهو ان أذن لهم فى مناجاته وجعلهم من أهل وسيلته ثم مدحهم عليه

أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون (18) أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون (19)
وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون (20)
ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون (21)

السجدة 21 - 16
فقال نتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون داعين ربهم عابدين له خوفا وطمعا مفعول له أى لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم فى رحمته وقم المتهجدون وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعن ابن عطاء أبت جنوبهم أن تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القرية يعنى صلاة الليل وعن أنس كان أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الأخيرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها وما روقناهم ينفقون فى طاعة الله تعالى فلا نعلم نفس ما أخفى لهم ما بمعنى الذى أخفى على حكاية النفس حمزة ويعقوب من قرة أعين أى لا يعلم أحد ما أعد لهؤلاء من الكرامة جزاء مصدر أى جوز واجزاء بما كانوا يعملون عن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وفيه دليل على أن المراد الصلاة فى جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا ثم بين ان من كان فى نور الطاعة والايمان لايستوى مع من هو فى ظلمة الكفر والعصيان بقوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا أى كافرا وهما محمولان على لفظ من قوله لا يستوون على المعنى بدليل قوله وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جناب المأوى هى نوع من الجنان تأوى إليها أرواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش نزلا بما كانوا يعملون عطاء

بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما وأما الذين فسقوا فمأواهم النار أى ملجؤهم ومنزلهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم أى تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون وهذا دليل على أن المراد بالفاسق الكافر إذالتكذيب يقابل الايمان ولنذيقنهم من العذاب الأدنى أى عذاب الدنيا من الاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين دون العذاب الأكبر أى عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة عن الدار انى العذاب الادنى الخذلال والعذاب الأكبر الخلود فى النيران وقيل العذاب الادنى عذاب القبر لعلهم لعل المعذبين بالعذاب الأدنى يرجعون يتوبون عن الكفر ومن

ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون (22)

السجدة 27 - 22

أظلم ممن ذكر وعظ بآيات ربه أي بالقرآن ثم أعرض عنها أى فتولى عنها ولم يتدبر فيهاوثم للاستبعاد أى أن الاعراض عن مثل هذه الآيات فى وضوحها وانارتها وارشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد فى العقل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز انا من المجرمين منتقمون ولم يقل منه لأنه إذا جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاطلم النصيب الا وفر من الانتقام ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة ولقد آتيناموسى الكتاب التوراة فلا تكن فى مرية شك من لقائه من لقاء موسى الكتاب أو من لفائك موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء موسى ربه فى الآخرة كذا عن النبى صلى الله عليه وسلم وجعلناه هدى لنبى إسرائيل وجعلنا الكتاب المنزل على موسى لقومه هدى وجعلنا منهم أئمة بهمزتين كوفى وشامى يهدون بذلك الناس ويدعونهم إلى ما فى التوراة من دين الله وشرائعه بامرنا اياهم بذلك لما صبروا حين صبروا على الحق بطاعة الله أو عن المعاصى لما صبروا حمزة وعلى أي لصبرهم على الدنيا وفيه دليل على أن الصبر ثمرته امامة الناس وكانوا بآياتنا التوراة يوقنون يعلمون علما لا

يخالجه شك إن ربك هو يفصل يقضى بينهم يوم القيامة بين الانبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركين فيما كانوا فيه يختلفون فيظهر المحق من المبطل أولم الواو للعطف على المعطوف عليه منوى من جنس المعطوف أى أو لم يدع يهد يبين والفاعل الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب نهد لهم لأهل مكة كم لا يجوز أن يكون كم فاعل يهدى لأن كم للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله ومحله نصب بقوله أهلكنا من قبلهم من القرون كعاد وثمود وقوم لوط يمشون فى مساكنهم أى أهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم إن فى ذلك لآيات أفلا يسمعون المواعظ فيتعظوا أو لم يروا أنا نسوق الماء نجرى المطر والانهار إلى الارض الجرز أى الارض التى جرز نباتها أى قطع اما لعدم الماء أو لانه رعى ولا يقال

ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون (22) ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل (23) وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون (24) إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (25) أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون (26) أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون (27) ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين (28) قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون (29) فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون (30)

السجدة 30 - 27

التى لا تنبت كالسباخ جرز بدليل قوله فنخرج به بالماء زرعا تأكل منه من الزرع انعامهم من عصفه وأنفسهم من حبه أفلا يبصرون بأعينهم فيستدلوا به على قدرته على احياء الموتى ويقولون متى هذا الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون ذلك قالوا متى هذا الفتح أى فى أى رقت يكون إن كنتم صادقين فى أنه كائن قل يوم الفتح أى يوم القيامة وهو يوم

الفصل بين المؤمنين وأعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم فتح مكة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فى سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكانى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلا ينفعكم الايمان أو استنظرتم فى إدراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر فهو يريد المقتولين منهم فانهم لا ينفعهم إيمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند الغرق فأعرض عنهم وانتظر البصرة وهلا كهم انهم منتظرون العلبة عليكم وهلاككم وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك وقال من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سورة الم تنزيل هى المانعة تمنع من عذاب القبر والله اعلم

سورة الأحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابى بن كعب رضى الله عنه لزركم تعدون سورة الأحزاب قال ثلاثا وسبعين قال فو الذى يحلف به أبى ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زينا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد ابى أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة رضالله عنها فاكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض يا أيها النبى وبالهمز نافع أى يا أيها المخبر عنا المأمون على اسرارنا المبلغ

يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما (1) واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا (2) وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (3) ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (4)

خطابنا إلى أحبابنا وإنما لم يقل يا محمد كما قال يا آدم يا موسى تشريفا له وتنويها بفضله وتصريحه باسمه فى قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بأنه رسول الله اتق الله اثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لايدرك مداه ولا تطع الكافرين والمنافقين ولا تساعدهم على شئ واحترس منهم فإنهم اعداء الله والمؤمنين وروى أن أبا سفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبا الاعور السلمى قدموا المدينة بعد قتال احد فنزلوا على عبد الله بن أبى واعطاهم النبى الامان على أن يكلموه فقالوا ارفض ذكر آلهتنا وقل أنها تنفع وتشفع ووازرهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا ان الله كان عليما بخبث أعمالهم حكيما فى تأخير الأمر بقتالهم واتبع ما يوحى اليك من ربك فى الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين ان الله الذى يوحى إليك كان بما تعملون خبيرا أى لم يزل عالما بأعمالكم وقيل إنما جمع لأن المراد بقوله اتبع هو وأصحابه وبالياء أبو عمرو أى بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله اسند امرك إليه وكله إلى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا إليه كل امر وقال الزجاج لفظه وان كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم أى ما جمع الله قلبين فى جوف ولا زوجية وامومة فى امرأة ولا بنوة ودعوة فى رجل والمعنى أنه تعالى كما لم يجعل لإنسان قلبين لأنه لا يخلو اما أن يفعل بالآخر فعلا من أفعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليه واما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدى إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا فى حالة واحدة لم يحكم أيضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لأن الأم مخدومة والمرأة خادمة وبينهما مغافاة وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لأن البنوة اصالة فى النسب والدعوة الصدق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع فى الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب صبى ضغير فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه

ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما (5) النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا (6)

الأحزاب 5 - 4
وتبناه وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج النبى صلى الله عليه وسلم زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فانزل الله هذه الآية وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب معكم وقلب مع أصحابه وقيل كان أبو معمر أحفظ العرب فقيل له ذو القلبين فاكذب الله قولهم وضربه مثلا فى الظهار والتبنى والتنكير فى رجل وادخال من الاستغراقيه على قلبين وذكر الجواب للتاكيد اللائى بياء بعد الهمزة حيث كان كوفى وشامى اللاء نافع ويعقوب وسهل وهى جمع التى تظاهرون عاصم من ظاهر إذا قال لامرأته أنت على كظهر أمى تظاهرون على وحمزة وخلف تظاهرون شامى من أظاهر بمعنى تظاهرغيرهم تظهرون من أظهر بمعنى ظهر وعدى بمن لتضمنه معنى البعد لأنه كان طلاقا فى الجاهلية ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدى بمن والافآلى فى أصله الذى هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه والدعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولدا وجمع على أفعلاء شاذا لأن بابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقى وأتقياء وشقى وأشقياء ولا يكون ذلك فى نحو رمى وسمى للتشبيه اللفظى ذلكم قولكم بأفواهكم أى إن قولكم للزوجة هى أم وللدعى هو ابن قول تقولونه بالسنتكم لا حقيقه له إذ الابن يكون بالولادة وكذا الأم والله يقول الحق أى ما حق ظاهره وباطنه وهو يهدى السبيل أى سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم هو أقسط أعدل عند الله وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين فى القسط والعدل وقيل كان الرجل فى الجاهلية إذا أعجبه ولد الرجل ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من

ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان ثم انظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة الطلبية فصل الخبرية عنها ووصل بيها ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالطلبية فإن لم تعلموا آباءهم فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم أى فهم إخوانكم فى الدين وأولياؤكم فى الدين فقالوا هذا أخى وهذا مولاى ويا أخى وياًمولاى يريد الاخوة فى الدين والولاية فيه ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به أى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهى ولكن ما تعمدت قلونكم ولكن الاثم عليكم فيما تعمدتموه بعد النهى أولا اثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بنى على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متعمدين وما في موضع الجر عطف على ما الأولى ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على سبيل العموم ثم

وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا (7)

الأحزاب 7 - 6
تناول لعمومه خطأ التبنى وعمده وإذا وجد التبنى فان كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنامنه ثبت نسبه منه وعتق ان كان عبدا له وان كان أكبر سنامنه لم يثبت النسب وعتق عند أبى حنيفة رضى الله عنه وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبنى وعتق ان كان عبدا وكان الله غفورا رحيما لا يؤاخذكم بالخطأ ويقبل التوبة من المتعمد النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم أى أحق بهم فى كل شيء من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمها فعليهم ان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه أو هو أولى بهم أى أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله بالمؤمنين رءوف رحيم وفى قراءة ابن مسعود النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبى أبو أمته ولذلك صار المؤمنون أخوة لأن النبى صلى الله عليه وسلم أبوهم فى الدين وأزواجه أمهاتهم فى تحريم نكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فيما وراء ذلك كالارث ونحوه كالاجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم إلى بناتهن وأولوا الارحام وذووالقراباب بعضهم أولى ببعض فى التوارث وكان المسلمون فى صدر الإسلام يتوارثون بالولاية فى

الدين وبالهجرة لا بالفرابة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة فى كتاب الله فى حكمه وقضائة أو فى اللوح المحفوظ أو فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين يجوز أن يكون بيانا لأولى الارحام أى الاقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضها من الاجانب وأن يكون لا بتداء الغاية أى أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين أى الانصار بحق الولاية فى الدين من المهاجرين بحق الهجرة إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا الاستثناء من خلاف الجنس أى لكن فعلكم إلىأوليائكم معروفا جائز وهو أن توصوا لمن أحببتم من هؤلاء بشيء فيكون ذلك بالوصية لا بالميراث وعدى تفعلوا بالى لأنه فى معنى تسدوا والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين كان ذلك فى الكتاب مسطورا أى التوارث بالارحام كان مسطورا فى اللوح واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم واذكر حين أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ومنك خصوصا وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لأن هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لأنهم أولو العزم وأصحاب الشرائع فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقدم من

ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما (8) يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا (9) إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (10)

الأحزاب 10 - 7
ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا
قدمه زمانه ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا وثيقا وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف إليه وإنما فعلنا ذلك ليسأل الله الصادقين اى الانبياء عن صدقهم عما قالوه لقومهم أو ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأن من قال الصادق صدقت كان صادقا فى قوله اوليسأل الانبياء ما الذى أجابتهم أممهم وهو كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم وأعد

للكافرين بالرسل عذابا أليما وهو عطف على أخذنا لأن المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو على مادل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فاثاب المؤمنين وأعد للكافرين يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم أى ما أنعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق وكان بعد حرب أحد بسنة إذ جاءتكم جنود أي الأحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة والنصير فأرسلنا عليهم ريحا أى الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاخصرتهم واسفت التراب فى وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطنان وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذرارى والنسوان فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وكان قريش قد اقبلت فى عشرة آلاف من الاحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان فى الف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامربن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر وكان الله بما نعملون أى بعملكم أيها المؤمنون من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبى صلى الله عليه وسلم بصيرا وبالياء أبو عمرو أى بما يعمل الكفار من البغى والسعى فى اطفاء نور الله اذ جاءوكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم أى من أعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادى من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة او عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا إلى عدوها لشدة الروع

هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (11) وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا (12) وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا

ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا (13)

الأحزاب 13 - 10
وبلغت القلوب الجناجر الحنجرة رأس الغلصمة وهى منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة روى أن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء تقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استرعوراتنا وآمن روعاتنا وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون فظن الأولون بالله أنه يبتليهم فخافوا الزال وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم قرأ أبو عمرو وحمزة الظنون بغير ألف فى الوصل والوقف وهو القياس وبالألف فيهما مدنى وشامى وأبو بكر اجراء للوصل مجرى الوقف وبالألف فى الوقف مكى وعلى وحفص ومثله الرسولا والسبيلا زادوها فى الفاصلة كما زادوها فى القافية من قال أقلى اللوم عاذل والعقابا وهن كلهن فى الامام بالألف هنالك ابتلى المؤمنون امتحنوا بالصبر علنا لإيمان وزلزلوا زلزالا شديدا وحركوا بالخوف تحريكا بليغا وإذ يقول المنافقون عطف على الأول والذين فى قلوبهم مرض قيل هو وصف المنافقين بالواوكقوله ... إلى الملك القوم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم ...
وقيل هم قوم لا بصيرة لهم فى الدين كان المنافقون يستميلونهم بإدخارالشبه عليهم ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا روى أن معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر أن يتبر زفرقا ما هذا إلا وعد غرور وإذ قالت طائفة منهم من المنافقين وهم عبد الله بن أبى وأصحابة يا أهل يثرب هم أهل المدينة لا مقام لكم وبضم الميم حفص أى لافرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون فارجعوا عن الإيمان إلى الكفر أو من عسكر رسول الله إلى المدينة ويستأذن فريق من النبى أى بنو حارثة يقولون إن بيوتنا عورة أى ذات عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا العورة الخلل والعورة ذات العورة وهى قراءة ابن عباس يقال عور المكان

عورا إذا بدا منه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن يكون عورة تخفيف عورة اعتذرو أن بيوتهم عرضة للعدو والسارق لأنها غير محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم

ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا (14) ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا (15) قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا (16) قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (17) قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا (18)

الأحزاب 18 - 14

الله بأنهم لايخاقون ذلك وإنما يريدون الفرار من القتال ولو دخلت عليهم المدينة أو بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من أفطارها من جوانبها أي ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التى يفرون خوفا منها مدينتهم أو بيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع لفتنة أى الردة والرجعة إلبالكفر ومقاتلة المسلمين لآتوها لأعطوها لا توها بلا مد حجازى أى لجاءوها وفعلوها وما تلبثوا بها بإجابتها إلا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو مالبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيرا فإن الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون باعورار بيوتهم ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب الذين ملؤوهم هولا ورعبا هؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعللوا بشيء وما ذلك إلا لمعتهم الإسلام وحبهم الكفر ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل أى بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم إلى الأحزاب لا يولون الأدبار منهزمين وكان عهد الله مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به قل ان ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لم تمتعون إلا قليلا أى إن كان حضر اجلكم لم ينفعكم الفرار وإن لم بحضر وفررتم لم تمتعوا فى الدنيا إلا قليلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل

وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب قل من ذالذي يعصمكم من الله أى مما أراد الله انزله بكم إن أراد بكم سوءا فى أنفسكم من قتل أو غيره أو أراد بكم رحمة أي إطالة عمر فى عافية وسلامة أو من يمنع الله من أن يرحمكم إن أراد بكم رحمة لما فى العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ناصرا قد يعلم الله المعوقين منكم أى من يعوق عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يمنع وهم المنافقون والقائلين لإخوانهم فى الظاهر من المسلمين هلم إلينا أى قربوا أنفسكم إلينا ودعوا محمدا وهى لغة أهل الحجاز فإنهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمى به فعل متعد نحو أحضر وقرب ولا يأتون

أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا (19) يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا (20) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (21)

الأحزاب 21 - 18

البأس أى الحرب إلا قليلا الا اتيانا قليلا أى يحضرون ساعة رياء يقفون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم بنصرفون أشحة جمع شحيح وهو البخيل نصب على الحال من الضمير فى يأتون أى يأتون الحرب بخلاء عليكم بالظفر والغنيمة فاذا جاء الخوف من قبل العدو أو منه عليه السلام رأيتهم ينظرون اليك فى تلك الجملة تدور أعينهم يمينا وشمالا كالذى يغشى عليه من الموت كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولو اذا بك فإذا ذهب الخوف زال ذلك الخوف وأمنوا وحيزت الغنائم سلقوكم بالسنة حداد خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم بالكلام خطيب مسلق فصيح ورجل مسلاق مبالغ فى الكلام أى يقولون وفروا فسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا

معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم أشحة على الخير أى خاطبوكم أشحة على المال والغنيمة وأشحة حال من فاعل سلقوكم أولئك لم يؤمنوا فى الحقيقة بل بالألسنة فأحبط الله أعمالهم أبطل باضمارهم الكفر ما أظهروه من الأعمال وكان ذلك احباط أعمالهم على الله يسيرا هينا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا أى لجبنهم يظنون أن الاحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع أنهم قد انصرفوا وان يأت الأحزاب كرة ثانية يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب البادون جمع المبادى أى يتمنى المنافقون لجنهم أنهم خارجون من المدينة إلى البادية حاصلون بين الاعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا مما فيه الخوف من القتال يسئلون كل قادم منهم من جانب المدينة عن أنبائكم عن أخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ما قاتلوا إلا قليلا رياء وسمعة لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة بالضم حيث كان عاصم أى قدوة وهو المؤتسى به أى المفتدى به كما تقول فى البينة عشرون منا حديدا أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد او فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها حيث قاتل بنفسه لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر يخاف الله ويخاف اليوم الآخر أو يأمل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر قالوا لمن يدل من لكم وفيه ضعف لأنه لا يجوز البدل من ضمير المخاطب

ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (22) من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (23) ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما (24) ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا (25) وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (26)

الأحزاب 25 - 21
وقيل لمن يتعلق بحسنة أى أسوة حسنة كائنة لمن كان وذكر الله كثيرا أى فى الخوف والرجاء والشدة والرخاء ولما رأى المؤمنون

الاحزاب وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم إلى قوله قريب فلما جاء الاحزاب واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وعلموا أن الغلبة والنصرة قد وجبت لهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم فى آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا إشارة إلى الخطب والبلاء وما زادهم ما رأوا من اجتماع الاحزاب عليهم ومجيئهم إلا إيمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضائه وقدره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أى فيما عاهدوه عليه فحذف الجار كما فى المثل صدقنى سن بكره أى صدقنى فى سن بكره بطرح الجار وإيصال الفعل نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعد بن زيد وحمزة ومصعب وغيرهم فمنهم من قضى نحبه أى مات شهيدا كحمزة ومصعب وقضاء النحب صار عبارة عن الموت لأن كل حى من المحدثات لا بد له أن يموت فكانه نذر لازم في رقبته فإذا مات فقد مضى نحبه أى نذره ومنهم من ينتظر الموت أى على الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد تبديلا ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة وفيه تعريض لمن بدلوا من أهل النفاق ومرضى القلوب كما مر فى قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ليجزى الله الصادقين بصدقهم بوفائهم بالعهد ويعذب المنافقين إن شاء إذا لم يتوبوا أو يتوب عليهم إن تابوا ان الله كان غفورا بقبول التوبة رحيما بعفو الحوبة جعل المنافقين كانهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا فى طلبها والسعى فى تحصيلها ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم حال أى مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا ظفر أى لم يظفروا بالمسلمين وسماه خيرا يزعمهم وهو حال أى غير ظافرين وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة

وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا (27) يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة

الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا (28)

الأحزاب 28 - 25
وكان الله قويا عزيزا قادرا غالبا وانزل الذين ظاهروهم عاونوا الاحزاب من اهل الكتاب من بنى قريظة من صياصيهم من حصونهم الصيصية ما تحصن به روى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهوم فيها الاحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا صلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فقال يا رسول الله ان الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة وانا عامد إليهم فإن الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طمعة فاذن فى الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلى العصر إلا فى بنى قريظة فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق فى سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير وقذف فى قلوبهم الرعب الخوف وبضم العين شامى وعلى ونصب فريقا بقوله تقتلون وهم الرجال وتأسرون فريقا وهم النساء والذرارى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم أى المواشى والنقود والامتعه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال لهم انكم فى منازلكم وأرضا لم تطئوها بقصد القتال وهى مكة أو فارس والروم او خيبرا وكل أرض إلى يوم القيامة وكان الله علىكل شئ قديرا قادرا يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها أى السعادة فى الدنيا وكثرة الأموال فتعالين اصل تعال ان يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المستوطى ثم كثر حتى استوى فى استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لأحد الأمرين ولم يرد تهوضهن إليه بأنفسهن كقوله قام يهددنى امتعكن اعطكن متعة الطلاق وتستحب المتعة لكل مطلقة الا المفوضة قبل الوط وأسرحكن وأطلقكن سراحا جميلا لا ضرار فيه أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة

وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضى الله عنها وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن

وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما (29) يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا (30) ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما (31) يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا (32)

الأحزاب 32 - 29
فاختارت الله ورسولة والدار الآخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن اختيارها وروى أنه قال لعائشة انى ذاكر لك أمر او لا عليك أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفى هذا استأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة وحكم التخير فى الطلاق أنه إذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسى أن تقع تطليقة بائنة وإذا اختارت زوجها لم يقع شئ وعن على رضى الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن من البيان لا للتبعيض أجرا عظيما يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة سيئة بليغة فى القبح مبينة ظاهر فحثها من بين بمعنى تبين وبفتح الياء مكى وأبو بكرقيل هى عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك يضاعف لها العذاب يضعف لها العذاب مكى وشامى يضعف أبو عمرو ويزيد ويعقوب ضعفين ضعفى عذاب غيرهن من النساء لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبى صلى الله عليه وسلم ولذا كان الذم المعاصى العالم أشد من العاصى الجاهل لأن المعصية من العالم اقبح ولذا فضل حد الاحرار على العبيد ولايرجم الكافر وكان ذلك أى تضعيف العذاب عليهن على الله يسيرا هينا ومن يقنت منكن لله ورسوله القنوت الطاعة وتعمل صالحا نؤتها وبالياء فيهما حمزة

وعلى أجرها مرتين مثل ثواب غيرها وعتدنا لها رزقا كريما جليل القدر وهوالجنة يا نساء النبى لستن كأحد من النساء أى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل وأحد فى الأصل وجد وهو الواحد ثم وضع فى النفي العام مسويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراء ان اتقيتن أن أردتن التقوى أو ان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول أى إذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب فلا تجئن بقولكن خاضعا أى ليناخنثا مثل كلام المربيات فيطمع بالنصب على جواب النهى الذى فى قلبه مرض ريبة وفجور وقلن قولا معروفا حسنا مع كونه خشنا وقرن مدنى

وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (33) واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا (34) إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما (35)

الأحزاب 35 - 33
وعاصم غير هبيرة وأصله اقررن فحذفت الراء تخفيفا وألقيت فتحتها على ما قبلها أو من فاريقا إذا اجتمع والباقون قرن من وقريقر وقادرا او من قريقر حذفت الأولى من راءى اقررن اقرارا من التكرار نقلت كسرتها إلى القاف فى بيوتكن بضم الباء بصرى ومدنى وحفص ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى أى القديمة والتبرج التبختر فى المشى أو إظهار الزينة والتقدير ولاتبرجن تبرجا مثل تبرج النساء فى الجاهلية الأولى وهى الزمان الذى ولد فيه إبراهيم أو ما بين آدم ونوح عليهما السلام أو من داود وسليمان والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام أو الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور فى الإسلام وأقمن

الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله خص الصلاة والزكاة بالأمر ثم عم بجميع الطاعات تفضيلالهما لأن من واظب عليهما جرتاه إلى ما وراءهما انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت نصب على النداء أو على المدح وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته وقال عنكم لأنه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة ويطهر كم تطهيرا من نجاسة الآثام ثم بين أنه إعانهاهن وأمرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآ ثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار الذنوب الرجس والتقوى الطهر لأن عرض المقترف اللمقبحات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما المحسنات فالغرض منها نقى كالثوب الطاهر وفيه تنفير لاولى الألباب عن المناهى وترغيب لهم فى الأوامر واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله القرآن والحكمة أي السنة أو بيان معانى القرآن إن الله كان لطيفا عالما بغوامض الأشياء خبيرا عالما بحقائقها أى هو عالم بأفعالكن وأقوالكن فأحذرن مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله ولما نزل فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل فينا شئ فنزلت إن المسلمين والمسلمات المسلم الداخل فى السلم بعد الحرب المنقاد الذى لا يعاند أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله والمؤمنين المصدقين بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به والمؤمنات والقانتين القائمين بالطاعة والقانتات والصادقين فى النياب والاقوال والاعمال والصادقات والصابرين والصابرات على الطاعات وعن السيآت والخاشعين

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (36) وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا (37)

الأحزاب 37 - 35

المتوضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخائفين والخاشعات

والمتصدقين والمتصدقات فرضا ونفلا والصائمين والصائمات فرضا ونفلا وقيل من تصدق فى كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والحافظين فروجهم عمالا يحل والحافظات والذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر والمعنى والحافظات فروجهن والذاكرات الله فحذف ادلالة ما تقدم عليه والفرق بين عطف الإناث عليالذكور وعطف الزوجين على الزوجين لأن الأول نظير قوله ثيبات وأبكارا فى أنهما جنسان مختلفان واشتركا فى حكم واحد فلم يكن بد من توسط العاطف بينهما وأما الثانى فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ومعناه أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما على طاعاتهم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة بأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت وما كان لمؤمن ولا مؤمنة أى وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنه إذا قضى الله ورسوله أى رسول الله أمرا من الأمور أن تكون لهم الخيرة من أمرهم أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره فقال رضينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها وإنما جمع الضمير فى لهم وإن كان من حقه أن يوحد لأن المذكورين وقعا تحت النفى فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير إلى المعنى لا إلى اللفظ ويكون بالياء كوفى والخيرة ما يتخير ودل ذلك على أن الأمر للوجوب ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فان كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق وإذ تقول الذى أنعم الله عليه بالاسلام الذى هو أجل النعم وأنعمت عليه بالاعتاق والتبنى فهو متقلب فى نعمة الله ونعمة رسولة وهو زيد بن حارثة أمسك عليك زوجك زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعدما أنكح إياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (38) الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (39)

الأحزاب 39 - 37

مالك ارابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الاخيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى فقال له امسك عليك زوجك واتق الله فلا تطلقها وهو نهى تنزيه إذ الأولى أن لا يطلق أو واتق الله فلا تذمها بالنسبة إلى الكبر وأدى الزوج وتخفى فى نفسك ما الله مبديه أى تخفى فى نفسك نكاحها ان طلقها زيد وهو الذى ابداه الله وقيل الذى اخفى فى نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيد اياها ولواو فى وتخفى فى نفسك وتخشى الناس أى قولة الناس أنه نكح امرأة ابنه والله احق ان تخشاه واو الحال أى تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك إرادة أن لا يمسكها وتخفى خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا فى ذلك بأن تخشى الله وعن عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه لكتم هذه الآية فلما قضى زيد منها وطرا الوطر الحاجة فإذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجه وتقاصرت عنها همته وطلقها وانقضت عدتها زوجنا كها روى أنها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ما اجد احدا أوثق فى نفسى منك اخطب على زينب قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب ابشرى ان رسول الله صل يخطبك ففرحت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا قيل قضاء الوطر أدراك الحاجة وبلوغ المراد منه وكان أمر الله الذى يريد أن يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له أحل له وأمر له وهو نكاح زينب امرأة زيد أو قدر له من عدد النساء سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم ترابا وجند لا مؤكد لقوله ما كان على النبى من حرج كأنه قيل سن الله ذلك سنة فى الانبياء الماضين وهو أن لا

يحرج عليهم فى الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسرارى وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية فى الذين خلوا من قبل فى الانبياء الذين مصوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ولا وقف عليه ان جعلت الذين يبلغون رسالات الله بدلا من الذين الأول وقف أن جعلته فى محل الرفع أو النصب على المدح أى هم الذين يبلغون

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (40) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (41) وسبحوه بكرة وأصيلا (42) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (43)

الأحزاب 43 - 39

أو اعنى الذين يبلغون ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وصف الانبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح فى قوله وتخشى الناس والله احق أن تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف ومحاسبا على الصغيرة والكبيرة فكان جديرا بأن تخشى منه ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أى لم يكن أبا رجل منكم حقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رجالكم البالغين والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم توفوا صبيانا ولكن كان رسول الله وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لافى سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه كحكمكم والتبنى من باب الاختصاص والتقريب لاغير وخاتم النبيين بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع أى آخرهم يعنى لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين بنزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كأنه بعض امته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين وكان الله بكل شئ عليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا أثنوا

عليه بضروب الثناء وأكثروا ذلك وسبحوه بكرة أول النهار وأصيلا آخر النهار وخصا بالذكر لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله ألا الله والله أكبرولا حولا ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والفعلان أى اذكروا الله وسبحوه موجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختص من بين أنواعه اختصاص جبريل
وميكائيل من بين الملائكة ابانة لفضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز علية من الصفات وجاز ان يراد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والعبادات فانها من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وهى صلاة الفجر وأصيلا وهى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أوصلاة الفجر والعشاءين هو الذى يصلى عليكم وملائكته لما كان من شأن المصلى أن ينعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن يتعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض فى انعطافه عليه والمرأة فى حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليه وسلم أى ترحم عليك وترأف والمراد بصلاة الملائكة قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذى يترحم عليكم ويترأف حين يدعوكم إلى الخير ويأمركم باكثار الذكروالتوفر على الصلاة

تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (44) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (45) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (46) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (47) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (48)

الأحزاب 48 - 43
والطاعة ليخرجكم من الظلمات إلى النور من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما هو دليل على أن المراد بالصلاة والرحمة وروى أنه لما نزل الله وملائكته يصلون على النبى قال أبو بكر ما خضك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فنزلت تحيتهم من إضافة المصدر إلى المفعول أى تحية الله لهم يوم يلقونه

يرونه سلام يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم وأعدلهم أجرا كريما يعنى الجنة يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا على من بعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم وهو حال مقدرة كما تقول مررت برجل معه صقر صائدا به أى مقدرا به الصيد غدا ومبشرا للمؤمنين بالجنة ونذيرا للكافرين بالنار وداعيا إلى الله بإذنه بأمره وبتيسيره والكل منصوب على الحال وسراجا منيرا جلا به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به والجمهور على أنه القرآن فيكون التقدير وذا سراج منير أو وتاليا سراجا منيرا ووصف بالإنارة لأن من السرج ما لا يضئ إذا قل سليطة ودقت فتيلته أو شاهدا بوحدانيتنا ومبشرا برحمتنا ونذيرا بنقمتنا وداعيا الله عبادتنا وسراجا وحجة ظاهرة لحضرتنا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ثوابا عظيما ولا تطع الكافرين والمنافقين المراد به التهييج أو الدوام والثبات على ما كان عليه ودع أذاهم هو بمعنى الإيذاء فيحمل أن يكون مضافا إلى الفاعل أى اجعل إيذاءهم أياك فى جانب ولا تبال بهم ولا تخف من ايذائهم أو إلى المفعول أى دع إيذاءك إياهم مكافأة لهم وتوكل على الله فإنه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا وكفى به مفوضا إليه وقيل إن الله تعالى وصفه بخمسة أو صاف وقابل كلامنهما بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لأنه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين وهو مناسب البشارة والنذير يدع أذاهم لأنه إذا ترك أذاهم فى الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به فى المستقبل والداعى إلى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله فإن من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتفى به عن

يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (49) يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة

إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون
المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم
لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (50)

الأحزاب 50 - 49
جميع خلقه يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات أى تزوجتم والنكاح
هو الوطء فى الاصل وتسميه العقد نكاحا لملابسته له من حيث أنه
طريق إليه كتسمية الخمر اثما لانها سببه وكقول الراجز أسنمة الآبال
فى سحابة
سمى الماء بأسنمة الآبال لانه سبب سمن الآبال وأرتفاع اسمنتها ولم
يرد لفظ النكاح فى كتاب الله تعالى إلا فى معنى العقد لأنه فى معنى
الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ
الملامسة والمماسة والقربان والتغشى والاتيان وفى تخصيص
المؤمنات مع أن الكتابيات تساوى المؤمنات فى هذا الحكم أشارة
إلى أن الاولى بالمؤمن ان ينكح مؤمنة ثم طلقتموهن من قبل أن
تمسوهن والخلوة الصحيحة كالمس فما لكم عليهن من عدة تعتدونها
فيه دليل على أن العدة تجب على النساء الرجال ومعنى تعتدونها
تستوفون عددها تفتعلون من العد فمتعوهن والمتعة تجب للتى
طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها وسرحوهن
سراحا جميلا أى لا تمسكوهن ضرارا وأخرجوهن من منازلكم إذلا
عدة لكم عليهن يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت
أجورهن مهورهن إذ المهر أجر على البضع ولهذا قال الكرخى ان
النكاح بلفظ الإجارة جائز وقلنا التأبيد من شرط النكاح والتأقيت من
شرط الإجازة وبينهما منافاة وإيتاؤها اعطاؤها عاجلا أو فرضها
وتسميتها فى العقد وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وهى صفية
وجويرية فاعتقهما وتزوجهما وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك ومع ليس القرآن بل لوجودها
فحسب كقوله وأسلمت مع سليمان وعن أم هانئ بنت أبى طالب
خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرنى فأنزل
الله هذه الآية فلم أحل له لانى لم أهاجر معه وامرأة مؤمنة إن وهبت
نفسها للنبى وأحللنا لك ما وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا
من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولذا تكرها قال ابن عباس هو بيان
حكم فى المستقبل ولم يكن عنده أحد منهن بالهبة وقيل الواهبة

نفسها ميمونة بنت الحرث أو زينب بنت خزيمة أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه بغير ان إن أراد النبى أن يستنكحها

ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (51)

الأحزاب 51 - 50
استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثانى تقييد للشرط الأول شرط فى الاحلال هبتها نفسها وفى الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد ان تستنكحها لان إرادته هى قبول الهبة وما به تتم وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته سواء فىالاحكام الا فيما خصه الدليل خالصة بلا مهر حال من الضمير فى وهبت أو مصدر مؤكد أى خلص لك احلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة فى المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة لك من دون المؤمنين بل يجب المهر لغيرك وان لم يسمه أو نفاه عدل عن الخطاب إلى الغيبة فى قوله ان اراد النبى ثم رجع إلى الخطاب ليؤذن ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره أى تكرير النبى تفخيم له قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم أى ما أوجبنا من المهور على امتك فى زوجاتهم أو ما أوجبنا عليهم فى أزواجهم من الحقوق وما ملكت ايمانهم بالشراء وغيره من وجوه الملك وقوله لكيلا يكون عليك حرج ضيق متصل بخالصة لك من دون المؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم جملة اعتراضية وكان الله غفورا رحيما بالتوسعة على عبادة ترجى بلا همز مدنى وحمزة وعلى وخلف وحفص وبهمز غيرهم تؤخر من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء تضم بمعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسيم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وهذه

قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فاما أن يخلى المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها وروى أنه أرجى منهن جويرية وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خمسا وآوى أربعا وروى أنه كان يسوى مع ما أطلق له وخير فيه إلاسودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقنى حتى احشر فى زمرة نسائك ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك أى ومن دعوت إلى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالارجاء فلاضيق عليك فى ذلك اى ليس اذا عزلتها لم يجز لك ردها إلى نفسك ومن رفع بالابتداء وخبره فلا جناح ذلك التفويض إلى مشيئتك أدنى أن تقرأ عينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن

لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (52) يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (53)

الأحزاب 53 - 51

أى أقرب إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانهن إذا علمن أن هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهن وذهب التغاير وحصل الرضا وقرت العيون كلهن بالرفع تأكيد لنون يرضين وقرئ ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ شاذا كلهن بالنصب تأكيدا لهن فى آتيتهن والله يعلم ما فى قلوبكم فيه وعيد لمن لم يرض منهن بمادبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ويحذر لا تحل لك النساء بالتاء أبو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتذكير لان تأنيث الجمع غير واذا جاز بغير فصل فمع الفصل اجوز من بعد

من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما أن الاربع تصاب أمته ولا أن تبدل بهن من أزواج بالطلاق والمعنى ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع التى مات عنهن عائشة حفصة أم حبيبة سودة أم سلمة صفية ميمونة زينب بنت جحش جويرية ومن فى من أزواج لتأكيد النفى وفائدته استغراق جنس الازواج باتحريم ولو أعجبك حسنهن فى موضع الحال من الفاعل وهو الضمير من تبدل أى تتبدل لا من المفعول الذى هو من أزواج لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هى اسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبى طالب فانها ممن اعجبه حسنهن وعن عائشة وأم سلمة ما مات رسول اللة صلى الله عليه وسلم حتى أحل له ان يتزوج من النساء ما شاء يعنى أن الآية نسخت ونسخها اما بالسنة أو بقوله انا أحللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف الا ما ملكت يمينك استثنى ممن حرم عليه الاماء ومحل ما رفع بدل من النساء وكان الله على كل شئ رقيبا حافظا وهو تحذير عن مجاوزة حدوه يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين اناه أن يؤذن لكم فى موضع الحال أى لا تدخلوا الا مأذونا لكم أو في معنى الظرف تقديره إلا وقت أن يؤذن لكم وغير ناظر حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الحال والوقت معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبى الا وقت الاذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين أى غير منتظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لا تدخلوا يا أيها المتحينون الطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين اناه واتى الطعام إدراكه يقال انى الطعام انى

إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما (54)

كقولك قلاه قلى وقيل اناه وقته أى غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج

ويخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال أرفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجرات وسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متولي خرجوا فرجع ونزلت ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا مستأنسين لحديث هو مجرور معطوف على ناظرين أو منصوب أى ولا تدخلوها مستأنسين نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به أن ذلكم كان يؤدى النبى فيستحى منكم من أخراجكم والله لا يستحى من الحق يعنى أن اخراجكم حق ما ينبغى أن يستحيا منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيى من بعض الافعال قيل لا يستحى من الحق أى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحبى منكم هذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضى الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا وإذا سألتموهن الضمير لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبى لأن فيها نساءه متاعا عارية أو حاجة فاسئلوهن المتاع من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من خواطر الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان عمر رضى الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن ويودان ينزل فيه وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وذكر أن بعضهم قال أنتهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لا نزوجن فلانة فنزل وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا أى وما صح لكم إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجة من بعد موته إن ذلكم كان عند الله عظيما أ بذنبا عظيما ان تبدوا شيئا من إيذاء النبى صلى الله عليه وسلم أو من نكاحهن أو تخفوه فى أنفسكم من ذلكم فإن الله كان بكل شئ عليما فيعاقبكم به ولما نزلت

لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (55) إن الله وملائكته يصلون على النبي

يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (56) إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا (57) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا (58)

الأحزاب 58 - 55
آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب فنزل لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن ولا نسائهن أ ى نساء المؤمنات ولا ما ملكت أيمانهن أى لا اثم عليهن فى أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لأنهما يجرينا مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا قال الله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق وإسمعيل عم يعقوب وعبيدهن عند الجمهوركاجانب ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب وفى هذا النقل فضل تشديد كأنه قيل واتقين الله فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحى من الاستتار واحتطن فيه إن الله كان على كل شئ شهيدا عالما قال ابن عطاء الشهيد الذى يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أى قولوا اللهم صل على محمد أو صلى الله على محمد وسلموا تسليما أى قولوا اللهم سلم على محمد أو انقادوا لامره وحكمه انقيادا وسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال إن الله وكل بى ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا اذينك الملكين آمين ثم هى واجبة مرة عند الطحاوى وكلما ذكر اسمه عند الكرخى وهو الاحتياط وعليه الجمهور وان صلى على غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبى وآله فلا كلام فيه وأما اذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه وهو من شعائر الروافض إن الذين يؤذون الله ورسوله أى يؤذون رسول الله وذكر اسم الله للتشريف أو عبر بايذاء الله ورسوله عن فعل ما لا يرضى الله ورسوله كالكفر وانكار النبوة مجازا وإنما جعل مجازا فيهما وحقيقة الايذاء يتصور فى رسول الله لئلا يجتمع المجاز والحقيقة فى لفظ واحد لعنهم الله فى الدنيا والآخرة طردهم الله من رحمته فى

الدارين وأعدلهم عذابا مهينا فى الآخره والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا أطلق إيذاء الله ورسوله

يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما (59) لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا (60)

الأحزاب 60 - 58
وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأن ذاك يكون غير حق أبدا وأما هذا فمنه حق كالحد والتعزير ومنه باطل قيل نزلت فى ناس من المنافقين يؤذون عليا رضى الله عنه ويسمعونه وقيل فى زناه كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذى كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات فقد احتملوا تحملوا بهتاتا كذبا عظيما واثما مبينا ظاهرا يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ما يستر الكل مثل الملحفة عن المبرد ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال إذا زال الثوب عن وجه المرأة إذن ثوبك على وجهك ومن للتبعيض أى ترخى بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة أو المراد أن يتجلبن ببعض ما لهن من الجلابيب وأن لا يكون المرأة متبذلة فى درع وخمار كالأمة ولها جلبابان فصاعدا فى بيتها وذلك ان النساء فى أول الإسلام على هجيراهن فى الجاهلية متبذلات تبرز المرأة فى درع وخمار لافضل بين الحرة والأمة وكان الفتيان يتعرضون إذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن فى النخل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة لحسبان الأمة فامرن أن يخالفن بزيهن عن زى الاماء بلبس الملاحف وستر الرؤس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أى أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بتعليمهن آداب المكارم لئن لم ينته المنافقون والذين فى قوبهم مرض فجوروهما الزناة من قوله فيطمع الذى فى قلبه مرض والمرجفون فى المدينة هم أناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهى الزلزلة لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم أو لنسلطنك عليهم ثم لا يجاورونك فيها فى المدينة وهو عطف على لنغرينك لأنه يجوز أن يجاب به القسم لصحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به عطف بثم لبعد حالة عن حال المعطوف عليه إلا قليلا زمانا قليلا والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء

ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا (61) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (62) يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (63) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا (64) خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا (65) يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (66) وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (67)

الأحزاب 67 - 61

لنأمرنك بأن تفعل الافعال التى تسوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمانا قليلا ريثما يرتحلون فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين نصب على الشتم أو الحال أى لا يجاورونك إلا ملعونين فلاستثناء دخل على الظرف والحال معا كما مر ولا ينتصب عن أخذو الان بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها أينما ثقفوا وجدوا أخذوا وقتلوا تقتيلا والتشديد يدل على التكثير سنة الله فى موضع مصدر مؤكد أى سن الله فى الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا أينما وجدوا فى الذين خلوا مضوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا أى لا يبدل الله سنته بل يجريها مجرى واحدا فى الامم يسئلك الناس عن الساعة كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها فى التوراة وفى كل كتاب فأمر رسوله بأن يجيبهم

بأنه علم قد استأثر الله به ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكانا للممتحنين بقوله قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا أو لأن الساعة فى معنى الزمان ان الله لعن الكافرين وأعدلهم سعيرا نارا شديدة الاتقاد خالدين فيها أبدا هذا يرد مذهب الجهمية لأنهم يزعمون ان الجنة والنار تفنيان ولا وقف على سعيرا لأن قوله خالدين فيها حال عن الضمير فى لهم لا يجدون وليا ولا نصيرا ناصرا يمنعهم اذكر يوم تقلب وجوههم فى النار تصرف في الجهات كما ترى البضعة تدور فى القدر إذا غلت وخصصت الوجوه لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجملة يقولون حال ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول فنخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لا ينفعهم التمنى وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا جمع سيد ساداتنا شامى وسهل ويعقوب جمع الجمع والمراد رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم وكبراءنا ذوى الأسنان منا أو علماءنا فأضلفونا السبيلا يقال ضل السبيل وأضله اياه

ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (68) يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (69) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (70) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (71) إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (72)

الأحزاب 72 - 68
وزيادة الألف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف ربنا آتهم ضعفين من العذاب للضلال والأضلال والعنهم لعنا كبيرا بالباء عاصم ليدل على أشد اللعن وأعظمه وغيره بالثاء تكثيرا لاعداد اللعائن ونزل فى شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ما مصدرية أو موصوله وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون

القول ومؤداه وهو الأمر المعيب وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التى أرادها قارون على قذفه بنفسها أو اتهامهم إياه بقتل هرون فأحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برأ نبينا عليه السلام بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وكان عند الله وجيها ذا جاه ومنزلة مستجاب الدعوة وقرأ ابن مسعود والأعمش وكان عبدا لله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا صدقا وصوابا أو قاصدا إلى الحق والسداد القصد إلى الحق والقول بالعدل والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل فى القول والبعث على أن يسددوا قولهم فى كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير ولا تقف على سديدا لأن جواب الأمر قوله يصلح لكم أعمالكم يقبل طاعاتكم أو يوفقكم لصالح العمل ويغفر لكم ذنوبكم أى يمحها والمعنى راقبوا الله فى حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها وهذه الآية مقررة للتى قبلها بنيت تلك على النهى عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله فى حفظ اللسان ليترادف عليهم النهى والامر مع اتباع النهى ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعى إلى تركه ولما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اتبعه قوله إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال وهو يريد بالأمانة الطاعة لله ويحمل الأمانة الخيانة يقال فلان حامل للامانة ومحتمل لها أى لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته إذ الأمانة كانها راكبة

ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما (73)

الأحزاب 73 - 72

للمؤتمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولى عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حامل لها يعنى أن هذه الاجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله انقياد

مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التى تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته أيجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة واشكال متنوعة كما قال ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللارض أئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين واخبر أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله وأن من الحجارة لما يهبط من خشية الله وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهية وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله فأبين أن يحملنها أى أبين الخيانة فيها وأن لا يؤدينها وأشفقن منها وخفن من الخيانة فيها وحملها الإنسان أى خان فيها وأبى أن لا يؤديها انه كان ظلوما لكونه تاركا لاداء الامانة جهولا لاخطائه ما يسعده مع تمكه منه وهو أداؤها قال الزجاج الكافر والمنافق حملا الامانة أى خانا ولم يطيعا ومن أطاع من الأنبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا وقيل معنى الآية أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمة أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الاجرام وأفواه فأبى حمله وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه أنه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خان بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب وما جاء القرآن إلا على أساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوى العوج واللام فى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات للتعليل لأن التعذيب هنا نظير التأديب فى قولك ضربته للتأديب فلا تقف على جهولا ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وقرأ الأعمش ويتوب الله بالرفع ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى المشهورة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافى كان نوعا من عذاب الغادر أو للعاقبة أى حملها الانسان فآل الأمر إلى تعذيب الأشقياء وقبول توبة السعداء وكان الله غفورا للتائبين رحيما بعباده المؤمنين والله الموفق للصواب

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير (1) يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور (2) وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب

لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين (3)

سبأ 3 - 1
سورة سبأ
سورة سبأ مكية وهى أربع وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد ان أجرى على المعهود فهو بما حمد به نفسه محمود وان أجرى على الاستغراق فله لكل المحامد الاستحقاق لله بلام التمليك لأنه خالق ناطق الحمد أصلا فكان بملكه مالك الحمد للتحميد أهلا الذى له ما فى السموات وما فى الأرض خلقا وملكا وقهرا فكان حقيقا بأن يحمد سرا وجهرا وله الحمد فى الآخرة كما هو له فى الدنيا إذ النعم فى الدارين من المولى غير أن الحمد هنا واجب لأن الدنيا دار تكليف وثم لا لعدم التكلف وإنما يحمد أهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا من الاجر العظيم بقولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وهو الحكيم بتدبير ما فى السماء والأرض الخبير بضمير من يحمده ليوم الجزاء والعرض يعلم مستأنف مايلج ما يدخل فى الأرض من الأموات والدفائن وما يخرج منها من النيات وجواهر المعادن وما ينزل من السماء من الامطار وأنواع البركات وما يعرج فيها يصعد إليها من الملائكة والدعوات وهو الرحيم بانزال ما يحتاجون إليه الغفور لما يجترءون عليه وقال الذين كفروا أى منكرو البعث لا تأتينا الساعة ففى البعث وإنكار المجئ الساعة قل بلى أوجب ما بعد النفى بلى على معنى أن ليس الامر إلا اتيانها وربى لتأتينكم ثم أعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية فى التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمى بما اتبع المقسم به من الوصف بقوله عالم الغيب لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت أو رسخ ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها فى الخفية كان الوصف بما يرجع إلى علم الغيب أولى وأحق عالم الغيب مدنى وشامى أى هو عالم الغيب كلام الغيب حمزة وعلى على المبالغة لا يعزب عنه وبكسر الزاى على يقال عزب

ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم (4) والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم (5) ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد (6) وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد (7)

سبأ 7 - 3

يعزب ويعزب إذا غاب وبعد مثقال ذرة مقدار أصغر نملة فى السموات ولا الارض ولا أصغر من ذلك من مثقال ذرة ولا أكبر من مثقال ذرة إلا فى كتاب مبين إلا فى اللوح المحفوظ ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون إلا بمعنى لكن أ ورفعا بالابتداء والخبر فى كتاب واللام فى ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة لما قصروا فيه من مدارج الإيمان ورزق كريم لما صبروا عليه من مناهج الإحسان متعلق بلتأتينكم تعليلا له والذين سعوا فى آياتنا جاهدوا فى رد القرآن معاجزين مسابقين ظانين أنهم يفوتوننا معجزين مكى وأبو عمرو أى مثبطين الناس عن اتباعها وتأملها أو ناسبين الله إلى العجز أولئك لهم عذاب من رجز أليم يرفع أليم مكى وحفص ويعقوب صفة لعذاب أى عذاب أليم من سيئ العذاب قال قتادة الرجز سوء العذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز ويرى فى موضع الرفع بالاستئناف أى ويعلم الذين أوتوا العلم يعنى أصحاب رسول الله صل ومن بطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه والمفعول الأول ليرى الذى أنزل إليك من ربك يعنى القرآن هو الحق أى الصدق وهو فضل والحق مفعول ثان أو فى موضع النصب معطوف على ليجزى وليعلم أولو العلم عند مجئ الساعة أنه الحق علما لا يزاد غليه فى الإيقان ويهدى الله أو الذى أنزل إليك إلى صراط العزيز الحميد وهو دين الله وقال الذين كفروا وقال قريش بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نكروه مع أنه كان مشهورا علما فى قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم تجاهلا به وبأمره وباب التجاهل فى البلاغة وإلى سحرها ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد أى يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب

أنكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلاء كل ممزق أى يفرقكم كل تفريق فالممزق مصدر بمعنى التمزيق والعامل فى إذا مادل عليه أنكم لفى

أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد (8) أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب (9) ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد (10)

سبأ 10 - 8

خلق جديد أى تبعثون والجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصريين تقول جد فهو جديد كقل فهو قليل ولا يجوز انكم بالفتح للام فى خبره افترى على الله كذبا اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك والهمزة للاستفهام وهمزة الوصل حذفت استغناء عنها أم به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد ثم قال سبحانه وتعالى ليس محمد من الافتراء والجنون فى شىء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون فى عذاب النار وفيما يؤديهم إليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون جعل وقوعهم فى العذاب رسيلا لوقوعهم فى الضلال كانهما كائنان فى وقت واحد لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه جعلا كانهما مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من الاسناد المجازى لأن البعيد صفة الضال إذا بعد عن الجادة أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم وبالادغام على التقارب بين الفاء والباء وضعفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء الأرض أو نسقط الثلاثة بالياء كوفى غير عاصم لقوله أفترى على الله كذبا عليهم كسفا كسفا حفص من السماء أى اعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض والأرض وانهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وان يخرجوا عماهم فيه من ملكوت اللله ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون

وأصحاب الايكة ان فى ذلك النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله تعالى لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع إلى ربه مطيع له إذ المنيب لا يخلو من النظر فى آيات الله على أنه قادر على كل شىء من البعث ومن عقاب من يكفر به ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال بدل من فضلا أو من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال أوبى معه من التأويب رجعى معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام والطير عطف على محل الجبال والطير عطف على لفظ الجبال وفى هذا النظم من الفخامة مالا يخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم بالطاعة أطاعوا وإا دعاهم أجابوا اشعار بأنه مامن حيوان إلا وهو منقاد لمشيئة الله

أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير (11) ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير (12)

سبأ 13 - 10

تعالى ولو قال آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفخامة وألنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين المعجون يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد فى يده لما أوتى من شدة القوة أن اعمل أن بمعنى أى أمرناه ان اعمل سابغات دروعا واسعة تامة من السبوغ وهو أول من اتخذها وكان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ماتقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا فى سورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه وهو انه يطعم عيالهمن بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر في السرد لا نجعل المسامير دقاقا فنغلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسردنسج الدروع واعملوا الضمير لداود وأهله صالحا خالصا يصلح للقبول انى بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح أى وسخرنا

لسليمان الريح وهى الصبار ورفع الريح أبو بكر وحماد والفضل أى ولسليمان الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك وكان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند وأسلنا له عين القطر أى معدن النحاس فالقطر النحاس وهو الصفر ولكنه اساله وكان يسيل فىالشهر ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكان قبل سليمان لا يذوب وسماه عين القطر باسم ما آل إليه ومن الجن من يعمل من فى موضع نصب أى وسخرنا من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه بأمر ربه ومن يزغ منهم ومن يعدل منهم عن أمرنا الذى أمرنا به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة وقيل كان معه ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان عليه السلام ضربه ضربة أحرقته يعملون له مايشاء من محاريب أى مساجد أو مساكن وتماثيل أى صور السباع والطيور وروى انهم عملوا له أسدين فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما وإذا قعد اظله النسران بأجنحتهما وكان التصوير مباحا حينئذ وجفان جمع جفنة كالجواب جمع جابية وهى الحياض الكبار قيل كان يقعد علىالجفنة ألف رجل كالجوابى فىالوصل والوقف مكى ويعقوب وسهل وافق ابو عمرو فى الوصل الباقون بغير ياء اكتفاء بالكسرة وقدور راسيات ثابتات على الاثافى

يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور (13) فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (14) لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور (15)

سبأ 15 - 13

لا تنزل عنها لعظمها وقيل انها باقية باليمين وقلنا لهم اعملوا آل داود شكرا أى ارحموا أهل البلاد واسألوا ربكم العافية عن الفضيل وشكرا

مفعول له أو حال أى شاكرين أو اشكروا اشكر الأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له أو مفعول به يعنى انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا وسئل الجنيد عن الشكر فقال بذل المجهود بين يدى المعبود وقليل من عبادى بسكون الياء حمزة وغيره بفتحها الشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا أو اعترافا وكدحا وعن ابن عباس رضى اله عنه من يشكر على أحواله كلها وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وحكى عن داود عليه السلام أنه جزا ساعات اليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات إلا وانسان من آل داود قائم يصلى فلما قضينا عليه الموت أى على سليمان مادلهم أباالجن وآل داود على موته إلا دابة الأرض أى الارضة وهى دويبة يقال لها سرفة والارض فعلها فاضيفت إليه يقال ارضت الخشبة أرضا إذا أكلتها الأرضة تاكل منسأته والعصا تسمى منسأة لأنه ينسا بها اى يطرد ومنساته بغير همز مدنى وأبو عمرو فلما خر سقط سليمان تبينت الجن علمت الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا بعد موت سليمان فى العذاب المهين وروى ان داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمره سنة سأل ربه أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشر سنة فبقى فى ملكه أربعين سنة وبتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه وروى أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعده أن يدنو منه لقد كان لسبا بالصرف بتأويل الحى وبعدمه أبو عمر وبتأويل القبيلة فى مسكنهم حمزة وحفص مسكنهم على وخلف وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التى كانوا مقيمين فيها باليمن أو مسكن كل واحد منهم غيرهم مساكنهم آية اسم كان جنتان بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان ومعنى كونهما آية ان أهلها لما أعرضوا عن شكر الله سلبهم الله النعمة ليعتبروا أو يتعظموا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط العم أو جعلهما آية أى علامة دالة على قدرة الله واحسانه ووجوب شكره عن يمين وشمال أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن

شمالها وكل واحدة من الجماعتين فى

فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل (16) ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور (17) وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين (18)

سبأ 18 - 15
تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كلوا من رزق ربكم واشكروا اله حكاية لما قال أنبياء الله المبعوثون إليهم أو لما قال لهم لسان الجمال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما أمرهم بذلك اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور أى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره قال ابن عباس كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلىء المكتل مما يتساقط فيه من الثمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ومن يمر بها من الغرباء يموت قمله لطيب هوائها فأعرضوا عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا مانعرف لله علينا نعمة فارسلنا عليهم سيل العرم أى المطر الشديد أو العرم اسم الوادى أو هو الجرذ الذى نقب عليهم السكر لما طغوا سلط الله عليهم الجرذ فنقبه من أسفله فغرقهم وبدلناهم بجنتيهم المذكورتين جنتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة وازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ذواتى أكل خمط الأكل الثمر يثقل ويخفف وهو قراءة نافع ومكى والخمط شجر الاراك وقيل كل شجر ذى شوك وأثل وشىء من سدر قليل الاثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا ووجه من نون الاكل وهو غير أبى عمر وان أصله ذواتى أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم امضاف إليه مقامه أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتى أكل بشع ووجه أبى عمرو ان أكل الخمط فى معنى البرير وهو ثمر الاراك إذا كان غضا فكانه قيل ذواتى برير والاثل والسدر معطوفان على أكل لا على

خمط لأن الاثل لا أكل له وعن الحسن قلل السدر لانه أكرم ما بدلوا لأنه يكون فى الجنان ذلك جزيناهم بما كفروا أى جزيناهم ذلك بكفرهم فهو مفعول ثان مقدم وهل نجازى إلا الكفور كوفى غير أبى بكر وهل يجازى إلا الكفور غيرهم يعنى وهل نجازى مثل هذا الجزاء إلا م كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله أو هل يعاقب لأن الجزاء وان كان عاما يستعمل فى معنى المعاقبة وفى معنى الاثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليه السلام وجعلنا بينهم بين سبا وبين القرى التى باركنا فيها بالتوسعة على أهلها فى النعم والمياه وهى قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لأعين الناظرين أو ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم

فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (19) ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين (20) وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ (21) قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير (22)

سبأ 22 - 18

حتى تخفى عليهم وهى اربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا إلى الشام وقدرنا فيها السير أى جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يقيل المسافر فى قرية ويروح فى اخرى إلى أن يبلغ الشام سيروا فيها وقلنا لهم سيروا ولا قول ثمة ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك ليالى واياما آمنين أى سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات أى سيروا فيها آمنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت أياما وليالى فقولوا ربنا باعدين اسفارنا قالوا ياليتها كانت بعيدة فنسير على نجائبنا ونربح فى التجارات ونفاخر فى الدواب والأسباب بطر والنعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب بعد مكى وابو عمرو وظلموا بما قالوا أنفسهم

فجعلناهم أحاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدى سبأ وتفرقوا أيادى سبا فلحق غسان بالشام وإنما بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان فى ذلك لآيات لكل صبار عن المعاصى شكور للنعم أو لكل مؤمن لأن الإيمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر ولقد صدق عليهم إبليس ظنه بالتشديد كوفى أى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا وبالتخفيف غيرهم أى صدق فى ظنه فاتبعوه الضمير فى عليهم واتبعوه لأهل سبا أو لبنى آدم وقلل المؤمنين بقوله إلا فريقا من المؤمنين لفلتهم بالاضافة إلى الكفار ولا نجد أكثرهم شاكرين وما كان له عليهم لإبليس على الذين صار ظنه فيهم صدقا من سلطان من تسليط واستيلاء بالوسوسة إلا لنعلم موجودا ما علمناه معدوما والتغير على المعلوم لا على العلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شىء حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان قل لمشركى قومك ادعوا الذين زعمتم من دون الله أى زعمتموهم آلهه من دون الله فالمفعول الأول الضمير الراجع إلى الموصول وحذف كما حذف فى قوله أهذا الذى بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته والمفعول الثانى آلهة وحذف لأنه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامة إذا كان مفهوما فإذا مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين والمعنى ادعوا

ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير (23) قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين (24)

سبأ 24 - 22

الذين عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتموهم والتجؤا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته ثم أجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من خير أو شر أو نفع او ضر فى السموات ولا فى الأرض ومالهم فيهما من شرك ومالهم فى هذين الجنسين من شركة فى

الخلق ولا فى الملك وماله تعالى منهم من آلهتهم من ظهير من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى ولا تنتفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أى أذن له الله يعنى إلا من وقع الاذن للشفيع لأجله وهى اللام الثانية فى قولك أذن لزيد لعمر وأى لأجله وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله أذن له كوفى غير عاصم إلا الأعشى حتى إذا فزع عن قلوبهم أى كشف الفزع عن قلوب الشافعين المشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى اطلاق الاذن وفزع شامى أى الله تعالى والتفزيع إزالة الفزع وحتى غاية لما فهم من أن ثم انتظار اللاذن وتوقفا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أولا يؤذن لهم كأنه قيل يتربصون ويتوقعون مليا فزعين حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا سأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق أى القول وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهو العلى الكبير ذو العو والكبرياء ليس لملك ولا نبى أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله أمره بأن يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بأن يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم بما أبوا أن يتكلموا به لأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فمالكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق وأمره أن يقول لهم بعد الالزام والالجام الذى ان لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه وأنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ومعناه وان أحد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفى درجة بعد تقدم ما قدم من التقرير دلالة غير خفية على من هومن الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ولكن التعريض أوصل بالمجادل إلى الغرض ونحوه قولك للكاذب أن أحدنا لكاذب وخولف بين حرفى الجر الداخلين على الهدى والضلال لأن صاحب الهدى كانه مستعل على فرس

قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون (25) قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم (26) قل أروني

الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم (27) وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون (28) ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (29) قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون (30) وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين (31)

سبأ 31 - 25

جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه ينغمس فى ظلام لايرى اين يتوجه قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون هذا أدخل فى الانصاف من الأول حيث أسند الاجرام إلى المخاطبين وهو مزجور عنه محظور والعمل إلى المخاطبين وهو مأمور به مشكور قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح يحكم بيننا بالحق بلا جور ولا ميل وهو الفتاح الحاكم العليم بالحكم قل أرونى الذين ألحقتم أى ألحقتموهم به بالله شركاء فى العبادة معه ومعنى قوله أرونى وكان يراهم أن يريهم الخطا العظيم فى الحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الاشراك به كلا ردع وتنبيه أى ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم بل هو الله العزيز الغالب فلا يشاركه أحدوهو ضمير الشأن الحكيم فى تدبيره وما أرسلناك إلا كافة للناس إلا ارساله عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج معنى الكافة فاللغة الاحاطة والمعنى أرسلناك جامعا للناس فالانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية والعلامة بشيرا بالفضل لمن أقر ونزيرا بالعدل لمن أصر ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون متى هذا الوعد أى القيامة المشار إليها فى قوله قل يجمع بيننا ربنا إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم وأما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول بغير سانية لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون أى لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال ولا التقدم إليه بالاستعجال ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم انهم سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا لا استرشاد فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا للسؤال علىالانكار والتعنت

وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه وقال الذين كفروا أى أبو جهل وذووه لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه أى ما نزل قبل القرآن من كتب الله أو القيامة والجنة والنار حتى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون لما دل عليه

قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين (32) وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (33)

سبأ 33 - 31

من الاعادة حقيقة ولو ترى إذا لظالمون موقوفون محبوسون عند ربهم يرجع يرد بعضهم إلى بعض القول فى الجدال أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم فى الآخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للمخاطب ولوترى فى الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرايت العجب فحذف الجواب يقول الذين استضعفوا أى الاتباع للذين استكبروا أى للرؤس والمقدمين لولا أنتم لكنا مؤمنين لولا دعاؤكم ايانا إلى الكفر لكنا مؤمنين بالله ورسوله قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى أولى الاسم أى نحن حرف الإنكار لأن المراد انكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتو من قبل اختيارهم بعد إذ جاءكم إنما وقعت إذ مضافا إليها وإن كانت إذ وإذا من الظروف الازمة للظرفية لأنه قد اتسع فى الزمان مالم يتسع فى غيره فاضيف إليها الزمان بل كنتم مجرمين كافرين لاختياركم وإيثاركم الضلال على الهدى لا بقولنا وتسويلنا وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لم يأت بالعاطف فى قال الذين استكبروا وأتى به فى وقال الذين استضعفوا لأن الذين استضعفوا أولا فلا كلامهم فجىء بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناء ثم جىء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول بل مكر الليل والنهار بل مكركم بنا بالليل والنهار فاتسع

فى الظرف بأجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى أى الليل والنهار مكرا بطول السلامة فيهما حتى ظننا أنكم على الحق إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له اندادا أشباها والمعنى أن المستكبرين لما أنكروا بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب فى كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا او حملكم إيانا على الشرك واتخاذ الانداد واسروا لندامة اضمروا واظهروا وهو من الاضداد وهم الطالمون فى قوله إذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المظلين لما

وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون (34) وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين (35) قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون (36) وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون (37)

سبأ 37 - 33

وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا أى فى أعناقهم فجاء بالصريح للدلالة على ما استحقوا به الأغلال هل يجزون الا ما كانوا يعلمون فى الدنيا وما أرسلنا فى قرية من نذير نبى الا قال مترفوها متنعموها ورؤساؤها انا بما أرسلتم به كافرون هذه تسليه للنبى صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وافتخروا بكثرة الأموال والأولاد كما قال وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاد او ما نحن بمعذبين أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا إلى أحوالهم فى الدنيا وظنوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فأبطل الله ظنهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كيف

يشاء فربما وسع على العاصى وضيق على المطبع وربما عكس وربما وسع عليهما أو ضيق عليهما فلا ينقاس عليهما أمر الثواب بقوله قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى أى وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي وذلك أن الجمع الكسر عقلاؤه وغيره عقلائه سواء فى حكم التأنيث والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب علىالمصدر أى تقربكم قربة كقوله أنبتكم من الأرض نباتا إلا من آمن وعمل صالحا الاستثناء من كم فى تقربكم يعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله والاولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقهم فى الدين ورشحهم للصلاح والطاعة وعن ابن عباس إلا بمعنى لكن ومن شرط جوابه فأولئك جزاء الضعف وهو من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجاوز الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرأ يعقوب جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء بما عملوا بأعمالهم وهم فى الغرفات أى غرف منازل

والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون (38) قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين (39) ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون (40) قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون (41) فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون (42)

سبأ 42 - 38

الجنة الغرفة حمزة آمنون من كل هائل وشاغل والذين يسعون فى آياتنا فى إبطالها معجزين أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق يوسع لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم ما شرطية فى موضع النصب من شىء بيانه فهو يخلفه يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال أو آجلا بالثواب جواب الشرط وهو خير

الرازقين المطعمين لأن كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيرهما فهو من رزق الله أجراه على أيدى هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التى ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون وبالياء فيهما حفص ويعقوب هذا خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر ... إياك أعنى واسمعى يا جارة ... ونحوه قوله أأنت قلت للناس اتخذونى الآية قالوا أى الملائكة سبحانك تنزيها لك أن يعبد معك غيرك أنت ولينا الموالاة خلاف المعاداة وهى مفاعلة من الولى وهو القرب والولى يقع على الموالى والموالى جميعا والمعنى أنت الذى نواليه من دونهم إذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن أى الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله أو كانوا يدخلون فى أجواف الاصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتهم أو صورت لهم الشياطين صورة قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها أكثرهم أكثر الانس أو الكفار بهم بالجن مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا لان الامر فى ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التى هى دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا بوضع العبادة فى غير موضعها

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين (43) وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير (44) وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير (45) قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد (46)

سبأ 46 - 42
معطوف على لا يملك ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون فى الدنيا وإذا تتلى عليهم آياتنا أى إذا قرىء عليهم القرآن بينات واضحات قالوا أى المشركون ماهذا أى محمد الارجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا أى القرآن الا انك مفترى وقال الذين كفروا أى وقالوا والعدول عنه دليل إنكار عظيم وغضب شديد للحق للقرآن أو لأمر النبوة كله لما جاءهم وعجزوا عن الإتيان بمثله ان هذا أى الحق إلا سحر مبين بتوه على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا وما آتيناهم من كتب يدرسونها أى ما أعطينا مشركى مكة كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ولا أرسلنا إليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين من قبلهم أى كذب الذين تقدموهم من الامم الماضية والقرون الخاليه الرسل كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم أى ومابلغ أهل مكة عشر ما أوتى الأولون من طول الأعمار وقوة الاجرام وكثرة الأموال والاواد فكذبوا رسلى فكيف كان نكير للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله وبالياء فى الوصل والوقف يعقوب أى فحين كذبوا رسلهم جاءهم 2إنكارى بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون فما بال هؤلاء وإنما قال فكذبوا وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لأنه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه وهو كقول القائل أقدم فلان علىالكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم قل إنما أعظكم بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله أن تقوموا على أنه عطف بيان لها وقيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو فى محل الجر وقيل هو فى محل الرفع على تقدير وهى أن تقوموا والنصب على تقدير أعنى وأراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده

قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد (47) قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب (48) قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد (49)

أو قيام القصد إلى الشىء دون النهوض والانتصاب والمعنى إنما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى أن تقوموا لله أى لوجه الله خالصا لا لحمية ولا عصبية بل لطلب الحق مثنى اثنين اثنين وفرادى فردا فردا ثم تتفكرون فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والانصاف حتى يؤديهما النظر الصحيح إلى الحق وكذلك الفرد يتفكر فى نفسه بعدل ونصفه ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر ويمنع من الرؤية ويقل الإنصاف فيه ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولايسمع إلا نصرة المذهب وتتفكروا معطوف على تقوموا ما بصاحبكم يعنى محمد صلى الله عليه وسلم من جنة جنون والمعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة ان هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قدام عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه السلام بعثت بين يدى الساعة ثم بين أنه لا يطلب أجرا على الإنذار بقوله قل ما سألتكم من أجر على إنذارى وتبليغى الرسالة فهو لكم جزاء الشرط تقديره أى شىء سألتكم من أجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة ومعناه نفى مسألة الاجر رأسا نحو مالى فى هذا فهو لك أى ليس لى فيه شىء إن أجرى مدنى وشامى وابو بكر وحفص وبسكون الياء غيرهم الاعلى الله وهو على كل شىء شهيد فيعلم أنى لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم إليه الا منه قل ان ربى يقذف بالحق بالوحى والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعار لمعنى الالقاء ومنه وقذف فى قلوبهم الرعب أن اقذفيه فىالتابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزل إلى أنبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب مرفوع على البدل من الضمير فى يقذف أو على أنه خبر مبتدا محذوف قل جاء الحق الإسلام والقرىن وما يبدىء الباطل وما يعيد أى زال الباطل وهلك لأن الابداء والاعاردة من صفات الحى فعدمهما عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعنها بعود معه ويقول جاء الحق وزهق الباطل أن كان زهو قاجاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد وقيل الباطل الأصنام وقيل

قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب (50) ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب (51) وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد (52) وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد (53) وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب (54)

سبأ 35 - 50
إبليس لأنه صاحب الباطل أو لأنه هالك كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك أى لا يخلق الشيطان ولا الصنم أحدا ولا يبعثه فالمنشىء والباعث هو الله ولما قالوا قد ضللت بترك دين آبائك قال الله تعالى قل إن ضللت عن الحق فإنما أضل على نفسى إن ضللت فمنى وعلى وإن اهتديت فبما يوحى إلى ربى أى فبتسديده بالوحى إلى وكان قياس التقابل أن يقال وإن اهتديت فإنما اهتدى لها كقوله فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولكن هما متقابلان معنى لأن النفس كل ما عليها وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء ومالها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلاله محله وسداد طريقته كان غيره أولى به إنه سميع لما اقوله لكم قريب منى ومنكم يجازينى ويجازيكم ولو ترى جوابه محذوف أى لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة إذ فزعوا عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر فلا فوت فلا مهرب أو فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وأخذوا عطف على فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لافوت على معنى إذا فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا من مكان قريب من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا أو من صحراء بدر إلى القليب وقالوا حين عاينوا العذاب آمنا به بمحمد عليه السلام لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة أو بالله وانى لهم التناوش من مكان بعيد التناوش التناول أى كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريدان النوبه كانت تقبل منهم فى الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت من الآخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم فى الدنيا مثلت

حالهم بحال من يريد ان يتناول الشىء من غلوه كما يتناول الآخرة من قيس ذراع التناوش بالهمزة أبو عمرو وكوفى غير حفص همزت الواو لأن كل واو مضمومة ضمتها لازمة إن شئت أبدلتها همزة وإن شئت لم تبدل نحو قولك ادور وتقاوم وإن شئت قلت إدؤر وتقاؤم وعن ثعلب التناؤش بالهمزة التناول من بعد وبغير همزة التناول من قرب وقد كفروا به من قبل من قبل العذاب أو فى الدنيا ويقذفون بالغيب معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون بالغيب أو بالشيء الغائب يقولون لابعث ولا حساب ولا جنة ولا نار من مكان بعيد عن الصدق أو عن الحق والصواب أو هو قولهم فى رسول

الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير (1)

سبأ 54
فاطر 1
الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفى لأنهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شىء مما جاء به السحر والشعر وأبعد شىء من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب ويقذفون بالغيب عن أبى عمرو على البناء للمفعول أى تأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم إياه وإن شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم فى طلبهم تحصل ما عطلوا من الإيمان فى الدنيا بقولهم آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا ويجوز أن يكون الضمير فى آمنا به للعذاب الشديد فى قوله بين يدى عذاب شديد وكانوا يقولون ومانحن بمعذبين إن كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قائسين أمر الآخرة عن أمر الدنيا فهذا كان قذفهم الغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف وحيل وحجز بينهم وبين ما يشتهون من نفع الإيمان يومئذ

والنجاة من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم بقوله أرجعنا نعمل صالحا والافعال التى هى فزعوا وأخذوا وحيل كلها للمضى والمراد بها الاستقبال لتحقق وقوعه كما فعل بأشياعهم من قبل بأشباههم من الكفرة انهم كانوا فى شك من أمر الرسل والبعث مريب موقع فى الريبة من أرابه إذا أوقعه فى الريبة هذا رد على من زعمم أن الله لا يعذب على الشك والله أعلم

سورة الملائكة مكية وهى خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد ذاته تعليما وتعظيما فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها قال ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى معنى الفاطر حتى اختصم إلى أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتداتها والارض جاعل الملائكة رسلا إلى عباده أولى ذوى اسم جمع لذو وهو بدل من رسلا أونعت له أجنحة جمع جناح مثنى وثلاث ورباع صفات لأجنحة وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الاعداد عن صيغ

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم (2) يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون (3) وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور (4)

فاطر 4 - 1

إلى صيغ أخرخ كما عدل عمر عن عامر وعن تكرير إلى غير تكرير وقيل للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى أن الملائكة طائفة أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان وطائفة اجنحتهم ثلاثة ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة يزيد فى الخلق أى يزيد فى خلق الأجنحة وغيره مايشاء وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة فى العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام فى الأعضاء وقوة فالبطش وحصافة فالعقل وجزالة فى الرأى وذلاقة

فى اللسان ومحبة فى قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك إن الله على كل شىء قدير قادر ما يفتح الله للناس من رحمة نكرت الرحمة للاشاعة والإبهام كانه قال من أية رحمة رزق أو مطر أو صحة أو غير ذلك فلا ممسك لها فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها واستعير الفتح للاطلاق والارسال ألاترى إلى قوله وما يمسك يمنع ويحبس فلا مرسل له مطلق له من بعده من بعد أمساكه وأنت الضمير الراجع إلى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة ثم ذكره حملا على اللفظ المرجع إليه إذلا تأنيث فيه لأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثانى فترك على أصل التذكير وعن معاذ مرفوعا لا نزال يد الله مبسوطة على هذه الأمة مالم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم برهم فاجرهم وتعن قراؤهم أمراءهم على معصية الله فإذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم وهو العزيز الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذى يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة إرساله وإمساكه ياأيها الناس اذكروا باللسان والقلب نعمت الله عليكم وهى التى تقدمت من بسط الأرض كالمهاد ورفع السماء بلا عماد وإرسال الرسل لبيان السبيل دعوة إليه وزلفة لديه والزيادة فى الخلق وفتح أبواب الرزق ثم نبه على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله هل من خالق غير الله برفع غير على الوصف لان خالق مبتدأ خبره محذوف أى لكم وبالجر على وحمزة على الوصف لفظا يرزقكم يجوز أن يكون مستأنفا ويجوز أن يكون صفة لخالق من السماء بالمطر والارض بأنواع النبات لا إله إلا هو جملة مفصولة لا محل لها فأنى تؤفكون فبأى وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها

يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (5) إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (6) الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير (7) أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون (8)

فاطر 8 - 4
وسلى رسوله بأن له فى الأنبياء قبله أسوة ولهذا نكر رسل أى رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل اعمار طوال وأصحاب صبر وعزم لأنه أسلى له وتقدير الكلام وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك لأن الجزاء يتعقب الشرط ولو أجرى على الظاهر يكوو سابقا عليه ووضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن السبب أى بالتكذيب عن التأسى وإلى الله ترجع الأمور كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه ترجع بفتح التاء شامى وحمزة وعلى ويعقوب وخلف وسهل ياأيها الناس إن وعد الله بالبعث والجزاء حق كائن فلا تغرنكم الحياة الدنيا فلا تجدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور أى الشيطان فإنه يمنيكم الأماني الكاذبة ويقول إن الله غنى عن عبادتك وعن تكذيبك ان الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة فعل بأبيكم ما فعل وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بأحواله فاتخذوه عدوا فى عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته فى سركم وجهركم ثم لخص سر أمره وخطأ من أتبعه بأن غرضه الذى يؤمه فى دعوة شيعته هو أن يوردهم مورد الهلاك بقوله إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ثم كشف الغطاء فبنى الأمر كله على الإيمان وتركه فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد أى فمن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لأنه صار من حزبه أى اتباعه والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولم يجيبوه ولم يصيروا منحزبه بل عادوه لهم مغفرة وأجر كبير لكبر جهادهم ولما ذكر الفريقين قال لنبيه عليه السلام أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا بتزيين الشيطان كمن لم يزين له فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة فحرف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء عليه فلا تذهب نفسك يزيد أى لاتهلكها حسرات مفعول له يعنى

والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به

الأرض بعد موتها كذلك النشور (9) من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور (10)

فاطر 10 - 8
فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته إن الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذى أرسل الرياح ارياح مكى وحمزة وعلى فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت بالتشديد مدنى وحمزة وعلى وحفص بالتخفيف غيرهم فأحييناه به بالمطر لتقدم ذكره ضمنا الأرض بعد موتها يبسها وانما قيل فتثير لتحكى الحال التى تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت واحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كان من الدليل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيايا معدولا بهما عن لفظ العيبة إلى ما هو أدخل فىالاختصاص وأدل عليه كذلك النشور الكاف فى محل الرفع أى مثل احياء الموات نشور الأموات قيل يحيي الله اخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق من كان يريد العزة فلله العزة جميعا أى العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة وكان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال وآتخذو من دون الله آلهة ليكونوالهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين أن لا عزة إلا بالله والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله لله العزة جميعا موضعه استغناء عنه به لدلالته عليه لأن الشىء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه وفى الحديث ان ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز ثم عرف أن ما يطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومعنى قوله إليه إلى محل القبول والرضا وكل ما اتصف بالقبول وصف بالرفعة والصعود أو إلى حيث لا ينفذ فيه الا حكمه والكلم

الطيب كلمات التوحيد أى لا إله إلا الله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا التاء يذكر ويؤنث والعمل الصالح العبادة الخالصة يعنى والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل أى العمل الصالح يرفعه الله وفيه إشارة إلى أن العمل يتوقف على الرفع والكلم الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح يرفع

والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير (11) وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (12)

فاطر 12 - 10

العامل ويشرفه أى من أراد العزة فليعمل عملا صالحا فإنه هو الذى يرفع العبد والذين يمكرون السيآت هى صفة لمصدر محذوف أى المكرات السيآت لأن مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله والمراد مكر قريش به عليه السلام حين اجتمعوا فى دار الندوة كما قال الله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية لهم عذاب شديد فى الآخرة ومكر أولئك مبتدأ هو فصل يبور خبر أى ومكر أولئك الذين مكروا هو خاصة يبور أى يفسد ويبطل دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله والله خلقكم أى أباكم من تراب ثم أنشأكم من نطفة ثم جعلكم أزواجا أصنافا أو ذكرانا وإناثا وما تحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه هو فى موضع الحال أى إلا معلومة له وما يعمر من معمر أى وما يعمر من أحد وإنما سماه معمرا بما هو صائر إليه ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب يعنى الوح أو صحيفة الإنسان ولا ينقص زيد فإن قلت الإنسان اما معمر أى طويل العمر أو منقوص العمر أى قصيره فأما أن يتعاقب عليه

التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة فى تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر فى عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق أو تأويل الآية أنه يكتب في الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب فى أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتى على آخر فذلك نقصان عمره وعن قتادة المعمر من يبلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة إن ذلك أى احصاءه أو زيادة العمر ونقصانه على الله يسير سهل وما يستوى البحران هذا أى أحدهما عذب فرات شديد العذوبة وقيل هو الذى يكسر العطش سائغ شرابه مرى وسهل الانحدار لعذوبته وبه يرتفع شرابه وهذا ملح أجاج شديد الملوحة وقيل هو الذى يحرق بلموحته ومن كل ومن كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية تلبسونها وهى

يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (13) إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير (14) يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد (15) إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (16) وما ذلك على الله بعزيز (17)

فاطر 15 - 12
الؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه فى كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء أى شقته وهى ماخرة لتبتغوا من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر فىالآية ولكن فيما قبلها ولولم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه ولعلكم تشكرون الله على ماآتاكم من فضله ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب فى

منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو فى طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منهالانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يولج الليل فىالنهار ويولج النهار فى الليل يدخل من ساعات أحدهما فى الآخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا وسخر الشمس والقمر أى ذال أضواء صورة لاستواء سيرة كل يجرى لأجل مسمى أى يوم القيامة ينقطع جريهما ذلكم مبتدأ الله ربكم له الملك أخبار مترادفة أو الله ربكم خبر ان وله الملك جملة مبتدأة واقعة فى قران قوله والذين تدعون من دونه يعنى الاصنام التى تعبدونها من دون الله يدعون قتيبة ما يملكون من قطمير هى القشرة الرقيقة الملتفة على النواة ان تدعوهم أى الاصنام لا يسمعوا دعاءكم لأنهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لأنهم لا يدعون لهم من الالهية ويتبرءون منها ويوم القيامة يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم ويقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خيبر ولا ينبئك أيها المفترون بأسباب الغرور كما ينبئك الله الخبير بخبايا الأمور وتحقيقه ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به يريدان الخبير بالأمر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذى أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لانى خبير بما أخبرت به يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله قال ذو النون الخلق محتاجون إليه

ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير (18)

فاطر 18 - 15

فى كل نفس وخطرة ولحظة وكيف لا ووجودهم به وبقاؤهم به والله هوالغنى عن الاشياء أو جمع الحميد المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغنى الذى هو مطعم الاغنياء وذكر الحميد ليدل به على أنه الغنى النافع بغناه خلقه والجواد المنعم عليهم إذ ليس كل غنى نافعا بغناه

إلا إذا كان الغنى جوادا منعما وإذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم قال سهل لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصله فقره إليه فينبغى للعبد أن يكون مفتقرا بالسر إليه ومنقطعا عن الغير إليه حتى تكون عبوديته محضة فالعبودية هى الذل والخضوع وعلامته أن لا يسأل من أحد وقال الواسطى من استغنى بالله لا يفتقر ومن تعزز بالله لا يذل وقال الحسين على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غنيا بالله وكلما ازداد افتقارا ازداد غنى وقال يحيى الفقر خير للعبد من الغنى لأن المذلة فى الفقر والكبر فى الغنى والرجوع إلى الله بالتواضع والذلة خير من الرجوع إليه بتكثير الأعمال وقيل صفة الأولياء ثلاثة الثقة بالله في كل شيء والفقر إليه في كل شيء والرجوع إليه من كل شىء وقال الشبلى الفقر يجر البلاء وبلاؤه كله عز وإن يشأ يذهبكم كلكم إلى العدم فان غناه بذاته لابكم فى القدم ويأت بخلق جديد وهو بدون حمدكم حميد وما ذلك الانشاء والافناء على الله بعزيز بممتنع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس أخرى والوزر والوقر اخوان ووزر الشىء إذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذى اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابره الدنيا الولي بالولى والجار بالجار وإنما قيل وازرة ولم يقل ولا تزر نفس وزر آخرى لأن المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها لا وزر غيرها وقوله ليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وارد فى الضالين المضلين فانهم يحملون أثقال اضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شىء من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى فى قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وماهم بحاملين من خطاياهم من شىء وان تدع مثقلة أى نفس مثقلة بالذنوب أحدا إلى حملها ثقلها أى ذنوبها ليتحمل عنها بعض ذلك لا يحمل منه شىء ولو كان أى المدعو وهو مفهوم من قوله وان تدع ذا قربى ذا قرابة قريبة كأب أو ولد أو أخ والفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ومعنى وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ان الأول دال على عدل الله فى حكمه وان لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثانى فى بيان أنه لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد أثقلتها الأوزار لو دعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وإن كان

وما يستوي الأعمى والبصير (19) ولا الظلمات ولا النور (20) ولا
الظل ولا الحرور (21) وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع
من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور (22) إن أنت إلا نذير (
23) إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير (
24) وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات
وبالزبر وبالكتاب المنير (25) ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان
نكير (26)

فاطر 25 - 18
المدعو بعض قرابتها إنما تنذر الذين يخشون ربهم أى إنما ينتفع بانذارك هؤلاء بالغيب حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب فى السر حيث لا اطلاع للغير عليه وأقاموا الصلاة فى مواقيتها ومن تزكى تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى فانما يتزكى لنفسه وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنهما من جملة التزكى وإلى الله المصير المرجع وهو وعد للممتزكى بالثواب وما يستوى الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن أو للجاهل والعالم ولا الظلمات مثل للكفر ولا النور للإيمان ولا الظل ولا الحرور الحق والباطل أو الجنة والنار والحرور الريح الحار كالسموم إلا أن السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار عن الفراء وما يستوى الاحياء ولا الأموات مثل الذين دخلوا فى الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وزيادة لا لتأكيد معنى النفى والفرق بين هذه الواوات أن بعضها ضمت شفعا إلى شفع وبعضها وترا إلى وتر ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور يعنى أنه قد علم من يدخل فى الإسلام ممن لا يدخل فيه فيهدى من يشاء هدايته وأما أنت فخفى عليك أمرهم فلذلك تحرص على اسلام قوم مخذولين حبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم ان أنت الا نذير أى ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك انا أرسلناك بالحق حال من أحد الضميرين يعنى محقا أو محقين أو صفة للمصدر أى ارسالا مصحوبا بالحق بشيرا بالوعد ونذيرا بالوعيد وان من أمة وما من أمة قبل أمتك والأمة الجماعة الكثيرة وجد عليه أمة من الناس ويقال لأهل كل عصر أمة والمراد هنا أهل العصر وقد

كانت آثار الذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلم تخل تلك الأمم من نذير وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام إلا خلا مضى فيها نذير يخوفهم وخاصة الطغيان وسوء عاقبة الكفران واكتفى بالنذير عن البشير فى آخر الآية بعد ما ذكرهما لأن النذارة مشفوعة بالبشارة فدل ذكر النذارة على ذكر البشارة وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود (27) ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور (28) إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور (29) ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور (30)

فاطر 28 - 25
رسلهم جاءتهم رسلهم حال وقد مضمرة بالبينات بالمعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير أى التوراة والانجيل والزبور لما كانت هذه الأشياء فى جنسهم أسند المجىء بها إليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها فى جميعهم وهى البينات وبعضها فى بعضهم وهى الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت عاقبت الذين كفروا بأنواع العقوبة فكيف كان نكير انكارى عليهم وتعذيبى لهم ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجا به بالماء ثمرات مختلفا ألوانها أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيآتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد طرق مختلفة اللون جمع جدة كمدة ومدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود جمع غربيب وهو تأكيد للاسود يقال أسود غربيب وهو الذى أبعد فى السواد وأغرب فيه ومنه الغراب وكان من حق التأكيد ان يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع إلا أنه ضمر المؤكد قبله والذى بعده تفسير للمضمر وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقى الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف فى قوله ومن الجبال جدد أى

ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤل إلى قولك ومنالجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه يعنى ومنهم بعض مختلف ألوانه كذلك أى كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته ابتع ذلك إنما يخشى الله من عباده العلمؤا أى العلماء به الذين علموه بصفاته فعظموه ومن ازداد علما به ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وفي الحديث أعلمكم بالله اشدكم له خشية وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن ان معناه ان الذين يخشون من عباده العلماء دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله ولا يخشون أحدا إلا الله وبينهما تغاير ففى الأول بيان أن الخاشين هم العلماء وفي الثانى بيان أن المخشى منه هو الله تعالى وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سرين رضى الله عنهم إنما يخشى الله من عباده العلماء والخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى إنما يعظم

والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير (31) ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير (32)

فاطر 32 - 28

الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المنيب حقه أن يخشى إن الذين يقلون كتاب الله يداومون على تلاوة القرآن واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية أى مسرين النفل ومعلنين الفرض يعنى لا يقتنعون بتلاوته على حلاوة العمل به يرجون خبران تجارة هي طلب الثواب بالطاعة لن تبور لن تكسد يعنى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفق عن الله ليوفيهم متعلق بلن تبور أي ليوفيهم بنفاقها عنده أجورهم ثواب أعمالهم ويزيدهم من فضله بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فيمن أحسن إليهم أو بتضعيف

حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه أو يرجون في موضع الحال أى راجين واللام في ليوفيهم تتعلق بيتلون وما بعده أى فعلوا جيمع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والانفاق لهذا الغرض وخبران إنه غفور لفرطاتهم شكور أى غفور لهم شكور لأعمالهم أي يعطى الجزيل على العمل القليل والذى أوحينا إليك من الكتاب أى القرآن ومن التبين هو الحق مصدقا حال مؤكده لأن الحق لا ينفعك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب إن الله بعباده لخبير بصير فعلمك وأبصر أحوالك ورآك آهلا لأن يوحىإليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عبار على سائر الكتب ثم أورثنا الكتاب أى أوحينا إليك القرآن ثم أو رثناه من بعدك أى حكمنا بتوريثه الذين اصطفينا من عبادنا وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة لأن اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسله ثم رتبهم على مراتب فقال فمنهم ظالم لنفسه وهو المرجأ لأمر الله ومنهم مقتصد هو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيا ومنهم سابق بالخيرات وهذا التاويل يوافق التنزيل فأنه تعالى قال والسابقون الأولون من المهاجرين الآية وقال بعده وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية وقال بعده وآخرون مرجون لأمر الله الآية والحديث فقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية قال رسول الله ص - سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا

جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (33) وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (34) الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب (35) والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور (36) وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير (37)

فاطر 35 - 32

مغفور له عليه السلام السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد

يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وأما الظالم نفسه فيحبس حتى يظن أنه لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة رواه أبو الدراداء والأثر فعن ابن عباس رضى الله عنهما السابق المخلص والمقتصد المرائى والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لأنه حكم الثلاثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب لهما وقال الحسن البصرى الظالم من رجحت سيأته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استورت حسناته وسيأته وسئل أبو سيف رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فإنه قال فمنهم ومنهم ومنهم والكل راجع إلى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أهل الايمان وعليه الجمهور وإنما قدم الظالم للايذان بكثرتهم وان المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء إنما قدم الظالم لئلا بيأس من فضله وقيل إنما قدمه ليعرفه أن ذنبه لا يبعده من ربه وقيل ان أول الأحوال معصية ثم توبه ثم استقامة وقال سهل السابق العلم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال أيضا السابق الذى اشتغل بمعاده والمقتصد الذى اشتغل بمعاشه ومعاده والظالم الذى اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم الذى يعبده على الغفله والعاده والمقتصد الذى يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذى يعبده على الهيبة والاستحقاق وقيل الظالم من أخذ الدنيا حلالا كانت او حرامار المقتصدين يجتهدان لا يأخذها إلا من حلال والسابق من أعرض عنها جملة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى بإذن الله بأمره أو بعلمه أو بتوفيقه ذلك أى إيراث الكتاب هو الفضل الكبير جنات عدن خبر ثان لذلك أو خبر مبتدا محذوف أو مبتدأ أو الخبر يدخلونها أى الفرق الثلاثة يدخلونها أبو عمرو يحلون فيها من أساور جمع أسورة جمع سوار من ذهب ولؤلؤ أى من ذهب مرصع باللؤلؤ ولؤلؤا بالنصب والهمزة نافع وحفص عطفا على محل من أساور أى يحلون اساور ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير لما فيه من الذة والزينة وقالواالحمد لله الذى أذهب عنا الحزن خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا إن ربنا لغفور يغفر الجنايات وإن كثرت شكور يقبل الطاعات وإن قلت الذى أحلنا دار المقامة أى الإقامة لا نبرج ولا نقارقها يقال أقمت إقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وأفضاله لا باستحقاقنا

إن الله عالم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور (38)
هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا (39)

فاطر 39 - 35
لا يمسنا فيها نصب تعب ومشقة ولا يمسنا فيها لغوب أعياء من التعب وفترة وقرأ أبو عبدالرحمن السلمى لغوب بفتح اللام وهو شيء يلغب منه أى لا نتكلف عملا يلغبنا والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا جواب النفى ونصبه باضمار أن أى لا يقضى عليهم بموت ثان فيستريحوا ولا يخفف عنهم من عذابها من عذاب نار جهنم كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى كل كفور يجزى كل كفور أبو عمرو وهم يصطرخون فيها بسغيثون فهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد ومشقة واستعمل في الاستغائة لجهر صوت المستغيث ربنا يقولون بنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أى أخرجنا من النار ردنا إلا الدنيا نؤمن بدل الكفر ونطع بعد المعصية فيجاوبون بعد قدر عمر الدنيا أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر يجوز أن يكون ما نكرة موصوفة أى تعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو متناول لك عمر تمكن منه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في المتطاول أعظم ثم قيل هو ثمان عشرة سنة وقيل أربعون وقيل ستون سنة وجاءكم النذير الرسول عليه السلام أو المشيب وهو عطف على معنى أو لم نعمركم لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه اخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير فذوقوا العذاب فما للظالمين من نصير ناصر يعينهم إن الله علم غيب السموات والأرض ما غاب فيهما عنكم انه عليم بذات الصدور كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور ومضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول ابي بكر رضى الله عنه ذو بطن خارجه جارية أى ما في بطنها من الحبل لأن يصحب البطن وكذا المضمرات تصحب الصدور وذو موضوع لمعنى الصحبة هو الذى جعلكم خلالف في الأرض يقال للمستخلف خليفة ويجمع على خلالف والمعنى أنه جعلكم خلفاء في أرضه قد ملككم مقاليد

التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل النعمة السنية فعليه كفره فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الآخرة كما

قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا (40) إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا (41) وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا (42)

فاطر 42 - 39

قال ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا وهو أشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا هلاكا وخسرانا قل أرأيتم شركاءكم آلهتكم التى اشر كتنموهم في العبادة الذين تدعون من دون الله أردونى ماذا خلقوا من الأرض أرونى بدل من أرأيتم لأن معنى أرأيتم أخبرونى كأنه قيل أخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به ا لشركة أرونى أى جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم شرك في السموات أم لهم مع الله شركة في خلق السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه أى معهم كتاب من عبد الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بينات على وابن عامر ونافع وأبو بكر بل إن يعد ما يعد الظالمون بعضهم بدل من الظالمون وهم الرؤساء بعضا أى الاتباع إلا غرورا هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا يمنعهما من أن تزولا لأن الإمساك منع ولئن زالتا على سبيل الفرض أن أمسكتهما ما أمسكهما من أحد من بعده من بعد إمساكه ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفى والثانية للابتداء إنه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهداهد العظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض الآية واقسموا بالله جهد إيمانهم نصب على المصدر أى أقساما بليغا أو على الحال أى جاهدين في أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من

إحدى الأمم بلغ قرشيا قبل مبعث النبي ص - أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم أى من الأمة التى يقال فيها هي إحدى الأمم تفضيلالها على غيرها في الهدى والإستقامة كما يقال للداهية العظيمة هي أحدى الدواهى فلما جاءهم نذير فلما بعث رسول الله عليه وسلم ما زادهم إلا نفورا أى ما زادهم مجىء الرسول

استكبارا في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا (43) أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا (44) ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا (45)

فاطر 45 - 43
ص - إلا تباعدا عن الحق وهو إسناد مجازى استكبار في الأرض مفعول له وكذا ومكر السيىء والمعنى وما زادهم الا نفورا للاستكبار ومكر السيء أو حال يعنى مستكبرين وما كرين برسول الله ص - قوله ومر السيء وأن مكروا السيء أى المكر السيء ثم ومكرا السيء والدليل عليه قوله ولا يحيق يحيط وينزل المكر السيء إلا بأهله ولقد حاق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لأخيه جبا وقع فيه مكبا فهل ينظرون إلا سنت الأولين وهو إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك إلا أن ينزل بهم العذاب مثل الذي نزل عن قبلهم من مكذبى الرسل جعل است4قبالهم لذلك انتظار له منهم فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا بين أن سنته التى هي الانتقام من مكذبى الرسل سنة لا يبدلها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وأن ذلك مفعول لا محالة أو لم يسيروا في الأرض فيظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهد عليهم بما كانوا يشهدونه في مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين علامات هلاكهم ودمارهم وكانوا

أشد منهم من أهل مكة قوة اقتدار فلم يتمكنوا من الفرار وما كان الله ليعجزه ليسبقه ويفوته من شيء أى شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما بهم قديرا قادرا عليهم ولو يؤخذا الله الناس بما كسبوا بما اقترافوا من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الأرض لأنه جرى ذكر الأرض في قوله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض من دابة من نسمة تدب عليها ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى إلى يوم القيامة فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا أي لم يخفف عليه حقيقة وحكمة حكمهم والله الموفق للصواب تم بحمد الله تعالى الربع الثالث من تفسير القرآن الكريم للامام النسفى ويليه الرابع وأوله سورة يس
الجزء الرابع

يس (1) والقرآن الحكيم (2) إنك لمن المرسلين (3) على صراط مستقيم (4) تنزيل العزيز الرحيم (5) لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون (6) لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون (7)

يس 7 - 1
سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانين آية
بسم الله الرحمن الرحيم
يس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه الله عنهما معناه يا إنسان فى لغة طيء وعن ابن الحنفية يا محمد وفي الحديث إن الله تعالى سمانى فى القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقبل يا سيد يس الإمالة على وحمزة وخلف وحماد ويحيى والقرآن قسم الحكيم ذى الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به إنك لمن المرسلين جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلا على صراط مستقيم خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين أى الذين أرسلوا على صراط مستقيم أى طريقة مستقيمة وهو الاسلام تنزيل بنصب اللام شامى وكوفى غير أبى بكر على أقر اتنزيل أو على على أنه مصدر أى نزل تنزيل وغيرهم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول العزيز الغالب بفصاحة نظم كتابه أوهام

ذوى العباد الرحيم الجاذب بلطافة معنى خطابه افهام أولى الرشاد واللام فى لتنذر قوما متصل بمعنى المرسلين أى أرسلت لتنذر قوما ما ما أنذر آباؤهم ما نافية عند الجمهور اي قوما غير منذر آباؤهم بدليل قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير أو موصولة منصوبة على المفعول الثانى أى العذاب الذى أنذره آباؤهم كقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا أو مصدرية أى لتنذر قوما إنذار آبائهم أي مثل إنذار آبائهم فهم غافلون إن جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفى أى لم ينذروا فهم غافلون وإلا فهو متعلق بقوله إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون يعنى قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطأون رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ماقدامهم ولا ما خلفهم فى أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم

إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون (8) وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون (9) وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (10) إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم (11) إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين (12) واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون (13) إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون (14)

يس 13 - 8

متعامون عن النظر فى آيات الله بقوله إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان معناه فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها فهم مقمحون مرفوعة رؤسهم يقال قمح البعير فهو قامح إذا روى فرفع رأسه وهذا لأن طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقه فيها رأس العمود خارجا من الحلقة إلى

الذقن فلا يخليه يطأطىء رأسه فلا يزال مقمحا وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا بفتح السين حمزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وماكان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم فأغشيناهم فأغشينا أبصارهم أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون الحق والرشاد وقيل نزلت فى بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر انا أقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أى سواء عليهم الانذار وتركه والمعنى من أضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار وروى أن عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك انى تائب عن قولى فى القدر فقال عمر اللهم إن صدق فت عليه وإن كذب فسلط عليه من لا يرحمه فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصليه على باب دمشق إنما تنذر من أتبع الذكر أى إنما ينتفع بإنذاك من ابتع القرآن وخشى الرحمن بالغيب وخاف عقاب الله ولم يره فبشره بمغفرة وهي العفو عن ذنوبه وأجر كريم أى الجنة أنا نحن نحى الموتى لبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك إلى الإيمان ونكتب ما قدموا ما أسلفوا من الأعمال الصالحات وغيرها وآثارهم ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو رباط أو مسجد صنعوه أو سيىء كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وآخر قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هى خطاهم إلى الجمعة أو إلى الجماعة وكل شىء أحصيناه عددناه وبيناه فى إمام مبين يعنى اللوح المحفوظ لأنه أصل الكتب ومقتداها واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ومثل لهم من قولهم عندى من هذا الضرب

قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون (15)

كذا أي من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد أى على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أى انطاكية أى اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثانى بيان للأول وانتصاب اذ بانه بدل من أصحاب القرية جاءها المرسلون رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان اذ بدل من اذ الأولى أرسلنا إليهم أى أرسل عيسى بأمرنا اثنين صادقا وصدوقا فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسأل عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرىء الأكمة والأبرص وكان له ابن مريض مدة سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما ألنا آله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شىء ورزق كل حى وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعى بغلام أكمه فدعوا الله فأبصر الغلام فقال شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لى عنك سر ان إلهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال إنى أدخلت فى سبعة أودية من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا فكذبوهما فكذب أصحاب القرية الرسولين فعززنا فقويناهما فعززنا أبو بكر من عزه يعزه إذا غلبه أى فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لأن المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ماسواه مرفوض فقالوا إنا اليكم مرسلون أى قال الثلاثة لأهل القرية قالوا أى أصحاب القرية ما أنتم إلا بشر

مثلنا رفع بشر هنا ونصب فى قوله ما هذا لبشرا لانتقاض النفى بالافلم يبق لما شبه بليس وهو الموجب لعلمه وما أنزل الرحمن من شىء أى وحيا

قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون (16) وما علينا إلا البلاغ المبين (17) قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم (18) قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون (19) وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين (20) اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون (21) وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون (22) أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون (23) إني إذا لفي ضلال مبين (24)

يس 24 - 16

إن أنتم إلا تكذبون ما أنتم إلا كذبة قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون أكد الثانى باللام دون الأول لأن الأول ابتداء اخبار والثانى جواب عن إنكار فيحتاج إلى زيادة تأكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وما علينا إلا البلاغ المبين أى التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته قالوا إنا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شىء مالوا إليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم لنقتلنكم أو لنطردنكم أو لنشتمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب قالوا طائركم أى سبب شؤمكم معكم وهو الكفر أئن بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفى وشامى ذكرتم وعظتم ودعيتم إلى الإسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم آين بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو وأين بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد بل أنتم قوم مسرفون مجاوزون الحد فى العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون فى ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك

به من رسل الله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أتسألون على ماجئتم به أجرا قالوا لا قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجرا على تبليغ الرسالة وهم مهتدون أى الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء فقال ومالى لا أعبد الذى فطرنى خلقنى وإليه ترجعون وإليه مرجعكم ومالى حمزة أأتخذ بهمزتين كوفى من دونه آلهة يعنى الأصنام ان يردن الرحمن بضر شرط جوابه لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون من مكروه ولا ينقذونى فاسمعونى فى الحالين يعقوب إنى إذا أى إذا اتخذت لفى ضلال مبين ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال

إني آمنت بربكم فاسمعون (25) قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون (26) بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين (27) وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين (28) إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون (29) يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون (30) ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون (31) وإن كل لما جميع لدينا محضرون (32)

يس 32 - 25

لهم انى آمنت بربكم فاسمعون أى اسمعوا إيمانى لتشهدو لى به ولما قتل قيل له ادخل الجنة وقبره فى سوق انطاكية ولم يقل قيل له لأن الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة أن الجنة مخلوقة وقال الحسن لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله إليه وهو فى الجنة ولا يموت إلا بفناء السموات والأرض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى أى بمغفرة ربى لى أو بالذى غفر لى وجعلنى من المكرمين بالجنة وما أنزلنا ما نافية على قومه قوم حبيب من بعده أى من بعد قتله أو رفعه من جند من السماء لتعذيبهم وما كنا منزلين وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض

لحكمه اقتضت ذلك إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة واحدة صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة فإذا هم خامدون ميتون كما تخمد النار والمعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق يا حسرة على العباد مايأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك التى حقك أن تحضرى فيها وهى حال استتهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المنحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من المقلين ألم يروا ألم يعلموا كم أهلكنا قبلهم من القرون كم نصب باهلكنا ويروا معلق عن العمل فى كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لأن أصلها للاستفهام إلا أن معناه نافذ فى الجملة وقوله انهم إليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم وإن كل لما جميع لدينا محضرون لما بالتشديد شامى وعاصم وحمزة بمعنى إلا وان نافية وغيرهم بالتخفيف على أن ما صلة للتأكيد وإن مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام لا محالة والتنوين فى كل عوض من المضاف إليه والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أو معذبون وإنما أخبر عن كل بجميع لأن كلا يفيد معنى الاحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعنى أن المحشر يجمعهم وآية لهم مبتدأ أو خبر أى وعلامة تدل

وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون (33)
وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون (34)
ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون (35) سبحان الذي
خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون (
36) وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون (37)
والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (38)

يس 36 - 33

على أن الله يبعث الموتى إحياء الأرض الميتة ويجوز أن يرتفع آية

بالابتداء ولهم صفتها وخبرها الأرض الميتة اليابسة وبالتشديد مدنى أحييناها بالمطر وهو استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك تسلخ ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما جنسان مطلقان لا أرض وليل باعيانها فعوملا معاملة النكرات فى وصفهما بالأفعال ونحوه ولقد أمر على اللئيم يسبنى وأخرجنا منها حبا أريد به الجنس فمنه يأكلون قدم الظرف ليدل على أن الحب هو الشىء الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس وإذا قل جاء القحط ووقع الضر وإذا حضر الهلاك ونزل البلاء وجعلنا فيها فى الأرض جنات بساتين من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون من زائدة عند الأخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما ينتفعون به ليأكلوا من ثمره والضمير لله تعالى أى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر من ثمرة حمزة وعلى وما عملته أيديهم أى ومما عملته أيديهم من الغرس والسقى والتلقيح وغير ذلك من الأعمال إلى أن يبلغ الثمر منتهاه يعنى أن الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم إن الغيبة على طريق الالتفات ويجوز أن يرجع الضمير إلى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع إليها لأنه علم أنها فى حكم النخيل مما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة ... فيها خطوط من بياض وبلق ... كانه فى الجلد توليع البهق ...

فقيل له فقال أردت كأن ذاك وما عملت كوفى غير حفص وهى مصاحف أهل الكوفة كذلك وفى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه أفلا يشكرون استبطاء وحث على شكر النعمة سبحان الذى خلق الأزواج الأصناف كلها مما تنبت الأرض من النخيل والشجر والزرع والثمر ومن أنفسهم الأولاد ذكورا واناثا ومما لا يعلمون ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها ففى الأودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نخرج منه النهار اخراجا لا يبقى معه شىء من ضوء النهار أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الأبيض فيعرى نفس الزمان

والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (39) لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك

يسبحون (40) وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون (41) وخلقنا لهم من مثله ما يركبون (42)

يس 37 - 42
كشخص زنجى أسود لأن أصل ما بين السماء والأرض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كمبيت مظلم أسرج فيه فإذا غاب السراج أظلم فإذا هم مظلمون داخلون فى الظلام والشمس تجرى وآية لهم الشمس تجرى لمستقر لها لحد لها مؤقت مقدر تنتهى إليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذ قطع مسيره أو لحد لها من مسيرها كل يوم فى مرائى عيوننا وهو المغرب أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا ذلك الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم بكل معلوم والقمر نصب بفعل يفسره قدرناه وبالرفع مكي ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر منازل وهى ثمانية وعشرون منزلا لا ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر ولابد فى قدرناه منازل من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أي قدرنا نوره فيزيد وينقص أو قدرنا مسيره منازل فيكون ظرفا فإذا كان فى آخر منازله دق واستقوس حتى عاد كالعرجون هو عود الشمراخ إذا يبس واعوج ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف القديم العتيق المحول وإذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة أوجه لا الشمس ينبغى لها أى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم أن تدرك القمر فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه فتطمس نوره لأن لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله لسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل ولا الليل سابق النهار ولا يسبق الليل النهار أى آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها وكل التنوين فيه عوض عن المضاف إليه أى وكلهم والضمير للشموس والأقمار فى ذلك يسبحون يسيرون وآية لهم انا حملنا ذريتهم درياتهم مدنى وشامى فى الفلك المشحون أى المملوء والمراد بالذرية الأولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم إلى التجارات فى بر أو بحر

أو الآباء لأنها من الاضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آبائهم الأقدمين وفى أصلابهم وذرياتهم وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ فى الامتنان عليهم وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك مايركبون من الإبل وهى سفائن البر وان

وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون (43) إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين (44) وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون (45) وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (46) وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين (47) ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (48) ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون (49) فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون (50) ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون (51)

يس 51 - 43
نشأ نغرقهم فى البحر فلا صريخ لهم فلا مغيث أو فلا إغاثة ولا هم ينقذون لا ينجون إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين أى ولا ينقذون إلا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة إلى انقضاء الأجل فهما منصوبان على المفعول له وإذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وماخلفكم أى ماتقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أنتم تعملون من بعد ومن مثل الوقائع التى ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب إذا مضمر أى أعرضوا وجاز حذفه لأن قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين يدل عليه ومن الأولى لتأكيد النفى والثانية للتبعيض أى ودأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة وإذا قيل لهم لمشركى مكة أنفقوا مما رزقكم الله أى تصدقوا على الفقراء قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن إن أنتم إلا3 فى ضلال مبين قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من

جملة جوابهم للمؤمنين ويقولون متى هذا الوعد أى وعد البعث والقيامة إن كنتم صادقين فيما تقولون خطاب للنبى وأصحابه ماينظرون ينتظرون إلا صيحة واحدة هى النفخة الأولى تأخذهم وهم يخصمون حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه إذا غلبه فى الخصومة وشدد الباقون الصاد أى يخصمون بإدغام التاء فى الصاد لكنه مع فتح الخاء مكى بنقل حركة التاء المدغمة إليها وبسكون الخاء مدنى وبكسر الياء والخاء يحيى فاتبع الياء الخاء فى الكسر وبفتح الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تأخذهم وبعضهم يخصم بعضا فى معاملاتهم فلا يستطيعون توصية فلا يستطيعون أن يوصلوا فى شىء من أمورهم توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ولا يقدروا على الرجوع إلى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة ونفخ فى الصور هى النفخة الثانية والصور القرن أو جمع صورة فإذا هم من الأجداث أى القبور إلى ربهم ينسلون

قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (52) إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون (53) فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون (54) إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون (55) هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون (56) لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون (57) سلام قولا من رب رحيم (58) وامتازوا اليوم أيها المجرمون (59)

يس 59 - 52

يعدون بكسر السين وضمها قالوا أى الكفار يا ويلنا من بعثنا من أنشرنا من مرقدنا أى مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار مضجعه يجدون فيها طعم النوم فإذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا وما مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والصدوق فيه بالوعد والصدق أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون إن كانت النفخة الأخيرة إلا صيحة

واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون للحساب ثم ذكر ما يقال لهم فى ذلك اليوم فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل بضمتين كوفى وشامى وبضمة وسكون مكى ونافع وأبو عمرو والمعنى فى شغل في أى شغل وفى شغلى لا يوصف وهو افتضاض الأبكار على شط الأنهار تحت الأشجار أو ضرب الأوتار أو ضيافة الجبار فاكهون خبر ثان فكهون يزيدو الفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ به وكذا الفكاهة هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه فى ظلال حال جمع ظل وهو الموضع الذى لا تقع عليه الشمس كذئب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة وبرام دليله قراءة حمزة وعلى ظلل جمع ظلة وهى ماسترك عن الشمس على الأرائك جمع الأريكة وهى السرير فى الحجلة أو الفراش فيها متكئون خبر أو فى ظلال خبر وعلى الأرائك مستأنف لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون يفتعلون من الدعاء أى كل ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم أو يتمنون من قولهم ادع على ما شئت أى تمنه على عن الفراء هو من الدعوى ولا يدعون مالا يستحقون سلام بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من رب رحيم والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وامتازوا اليوم أيها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة

ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين (60) وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم (61) ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون (62) هذه جهنم التي كنتم توعدون (63) اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون (64) اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (65) ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون (66) ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون (67)

يس 60 - 67

وعند الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولايرى أبدا

ويقول لهم يوم القيامة ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين العهد الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ما ركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم وأن اعبدونى وحدونى وأطيعونى هذا اشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن صراط مستقيم أى صراط بليغ فى استقامته ولا صراط أقوم منه ولقد أضل منكم جبلا بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامى وأبو عمرو وجبلا بضم الجيم والباء وتحفيف اللام غيرهم وهذه لغات فى معنى الخلق كثيرا أفلم تكونوا تعقلون استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل هذه جهنم التى كنتم توعدون بها اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ادخلوها بكفركم وانكاركم لها اليوم نختم على أفواههم أى تمنعهم من الكلام وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا اجيز على إلا شاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ولو نشاء لمسخناهم قردة أو خنازير أو حجارة على مكانتهم على مكاناتهم أبو بكر وحماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم فى منازلهم حيث يجترحون المآثم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فلم يقدروا على ذهاب ولا مجىء أو مضيا أمامهم ولا يرجعون

ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون (68) وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين (69) لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين (70) أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون (71) وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون (72)

خلفهم ومن نعمره ننكسه عاصم وحمزة والتنكيس جعل الشىء أعلاه أسفله الباقون ننكسه فى الخلق أى نقلبه فيه بمعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوله ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع إلى حال شبيهة بحال الصبى في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا أفلا يعقلون إن من قدر على أن ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويبعثهم بعد الموت وبالتاء مدنى ويعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل وماعلمناه الشعر أى وما علمنا النبى عليه السلام قول الشعراء أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققته وما ينبغي له ومايصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي إلى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله ... أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب ... وقوله ... هل أنت الا اصبع دميت ... وفي سبيل الله ... مالقيت

فما هو إلا من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه أن جاء موزونا كما يتفق في خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعرا لأن صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على أنه عليه السلام قال لقيت بالسكون وفتح الباء في كذب وخفض الباء في المطلب ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال إن هو أي المعلم إلا ذكر وقرآن مبين أي ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الإنس والجن وما هو إلا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر القرآن أو الرسول لتنذر مدني وشامي وسهل ويعقوب من كان حيا عاقلا متأملا لأن الغافل كالميت أو حيا بالقلب ويحق القول وتجب كلمة العذاب

على الكافرين الذين لا يتأملون وهم في حكم الاموات ولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت ايدينا أنعاما أي مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا

ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون (73) واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون (74) لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون (75) فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون (76)

يس 76 - 72
فهم لها مالكون أى خلقناها لأجلهم فملكناها إياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون وذللنا لهم وصيرناها منقادة لهم وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين فمنها ركوبهم وهو ما يركب ومنها يأكلون أى سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها ولهم فيها منافع من الجلود والأوبار وغير ذلك ومشارب م4ن اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب أفلا يشكرون الله على انعام الأنعام واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون أى لعل أصنامهم تنصرهم إذا حز بهم أمر لا يستطيعون أى آلهتهم نصرهم نصر عابديهم وهم لهم أي الكفار للأصنام جند أعوان وشيعة محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ماتوهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون وقود النار فلا يحزنك قولهم وبضم الياء وكسر الزاي نافع من حزنه وأحزنه يعنى فلا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاءهم إنا نعلم ما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وإنا مجازوهم عليه نحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم أن من قرأ إنا نعلم بالفتح فسدت صلاته وإن اعتقد معناه كفر فقد أخطأ لأنه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن والشعر وفى كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الحمد

والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل فإن قلت إن كان المفتوح بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك أنا نعلم مايسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسران وفتحها وإنما يدوران على تقديرك فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدره معنى المفعولية ثم إن قدرته كاسرا أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه إلا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم والنهي عن حزنه ليس إثباتا لحزنه بذلك كما فى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر ونزل فى أبي بن خلف حين أخذ عظما باليا وجعل يفته بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد مارم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم أولم ير

أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين (77) وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم (78) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (79) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون (80) أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم (81) إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (82) فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون (83)

يس 77 - 82

الإنسان أنا خلقناه من نطفة مذرة خارجة من الاحليل الذى هو قناه النجاسة فاذا هو خصيم مبين بين الخصومة أي فهو على مهانة أصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر قدرته على إحياء الميت بعد مارمت عظامه ثم يكون خصامه فى ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية المكابرة وضرب لنا مثلا بفته العظم ونسى خلقه من المنى فهو أغرب من

إحياء العظم المصدر مضاف إلى المفعول أى خلقنا إياه قال من يحى العظام وهى رميم هو اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ومن يثبت الحياة فى العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها يتشبث بهذه الآية وهى عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب لأن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام فى الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس قل يحييها الذى أنشأها خلقها أول مرة أى ابتداء وهو بكل خلق مخلوق عليم لا تخفى عليه أجزاؤه وان تفرقت فى البر والبحر فيجمعه ويعيده كما كان الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى تورى بها الأعراب واكثرها من المرخ والعفار وفى أمثالهم وفى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لأن المرخ شجر سريع الورى والعفار شجر تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فتنقدح النار بإذن الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار فى الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة فى البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل فى العقل من الجمع معا بلا ترتيب والاخضر على اللفظ وقرىء الخضراء على المعنى ثم بين أن من قدر عل خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسى أقدر بقوله أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم فى الصغر بالاضافة إلى السموات والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل للمبتدأ وليس به بلى أى قل بلى هو قادر على ذلك وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات إنما أمره شأنه إذا أراد شيئا أن يقول له كن أن يكونه فيكون فيحدث أى فهو

والصافات صفا (1) فالزاجرات زجرا (2) فالتاليات ذكرا (3) إن إلهكم لواحد (4) رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق (5)

فسبحن الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون
سورة الصافات
بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا
كائن موجود لا محالة فالحاصل أن المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن إيجاده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وإنما هو بيان لسرعة الايجاد كأنه يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامى وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى أمره أن يقول له كن فسبحان تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا الذى بيده ملكوت كل شيء أى ملك كل شىء وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعنى هو مالك كل شيء وإليه ترجعون تعادون بعد الموت بلا فوت ترجعون يعقوب قال عليه الصلاة والسلام إن لكل شىء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وقال عليه السلام من قرأ يس أمام حاجته قضيت له وقال عليه السلام من قرأها إن كان جائعا أشبعه الله وإن كان ظمآن أرواه الله وان كان عريانا ألبسه الله وان كان خائفا أمنه الله وان كان مستوحشا آنسه الله وان كان فقيرا أغناه الله وان كان فى السجن أخرجه الله وإن كان أسيرا خلصه الله وان كان ضالا هداه الله وان كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة والله اعلم
سورة الصافات مكية وهى مائة واحدى أو اثنتان وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة فالزاجرات السحاب سوقا أو عن المعاصى بالالهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء العمال الصفات أقدامها فى التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس الغزاة في سبيل الله التى تصف

الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلوا الذكر مع ذلك وصفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات فى التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم إن الهكم لواحد قيل هو جواب قولهم أجعل الآلهة إلها واحدا رب السموات والأرض خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أى هو رب وما بينهما ورب المشارق أى مطالع الشمس وهى ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين وأما رب المشرقين ورب المغربين فإنه أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما وأما

إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب (6) وحفظا من كل شيطان مارد (7) لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب (8) دحورا ولهم عذاب واصب (9) إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب (10)

الصافات 11 - 6
رب المشرق والمغرب فإنه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة انا زينا السماء الدنيا القربى منكم تأنيث الأدنى بزينة الكواكب حفص وحمزة على البدل من الزينة والمعنى انا زينا السماء الدنيا بالكواكب بزينة الكواكب أبو بكر على البدل من محل بزينة أو على اضمار أعنى أو على أعمال المصدر منونا في المفعول بزينة الكواكب غيرهم بإضافة المصدر إلى الفاعل أى بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على إضافته إلى المفعول أي بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء لحسنها فى أنفسها وأصله بزينة الكواكب لقراءة أببكر وحفظا محمول على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أو الفعل المعلل مقدر كأنه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب أو معناه حفظناها حفظا من كل شيطان مارد خارج من الطاعة والضمير فى لا يسمعون لكل شيطان لأنه فى معنى الشياطين يسمعون كوفى غير أبى بكر وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وينبغى أن يكون كلاما

منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وقيل أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت فى جئتك أن تكرمنى فبقى أن لا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما فى قوله ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فإن كل واحد من الحرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه أن المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الإدراك إلى الملا الأعلى أى الملائكة لأنهم يسكنون السموات والإنس والجن هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض ويقذفون يرمون بالشهب من كل جانب من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للإسترقاق دحورا مفعول له أى يقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكانه قيل يدحرون أو قذفا ولهم عذاب واصب دائم من الوصوب أى أنهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن فى إلا من فى محل الرفع بدل الواو فى لا يسمعون أى لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذى خطف الخطفة أى سلب السلبة يعنى أخذ شيئا من كلامهم بسرعة فأتبعه لحقه شهاب أي نجم رجم ثاقب مضىء فاستغنهم فاستخبر كفار مكة أهم أشد خلقا أى أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدة أو أصعب خلقا واشقه على معنى الرد

فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب (11) بل عجبت ويسخرون (12) وإذا ذكروا لا يذكرون (13) وإذا رأوا آية يستسخرون (14) وقالوا إن هذا إلا سحر مبين (15) أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون (16) أو آباؤنا الأولون (17) قل نعم وأنتم داخرون (18) فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون (19) وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين (20) هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون (21) احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون (22)

لانكارهم البعث وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون أم من خلقنا يريد ماذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما وجىء بمن تغليبا للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ أم من عددنا بالتشديد والتخفيف إنا خلقناهم من طين لازب لاصق أو لازم وقرىء به وهذا شهادة عليهم بالضعف لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث بل عجبت من تكذيبهم إياك يسخرون هم منك ومن تعجبك أو عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث بل عجبت حمزة وعلى أى استعظمت والعجب روعة تعترى الإنسان عند استعظام الشىء فجرد لمعنى الاستعظام فى حقه تعالى لأنه لا يجوز عليه الروعة أو معناه قل يا محمد بل عجبت وإذا ذكروا لا يذكرون ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به وإذا رأوا آية معجزة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يستدعى بعضهم بعضا أن يسخر منها أو يبالغون فى السخرية وقالوا إن هذا ماهذا إلا سحر مبين ظاهر أئذا استفهام إنكار متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أى انبعث إذا كنا تراباا وعظاما وآباؤنا معطوف على محل إن واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل أو آباؤنا بسكون الواو مدنى وشامى أى أيبعث واحد منا على المبالغة فى الإنكار الأولون الأقدمون قل نعم تبعثون نعم على وهما لغتان وأنتم داخرون صاغرون فإنما هى جواب شرط مقدر تقديره إذا كان كذلك فما هى إلا زجرة واحدة وهى لا ترجع إلى شىء إنما هى مبهمة موضحها خبرها ويجوز فإنما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الإبل أو الغنم إذا صاح عليهم فإذا هم أحياء بصراء ينظرون إلى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم وقالوا يا ويلنا الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة هذا يوم الدين أى اليوم الذي ندان فيه أي تجاري بأعملنا هذا يوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال الذى كنتم به تكذبون ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين إلى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا

من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم (23) وقفوهم إنهم
مسؤولون (24) ما لكم لا تناصرون (25) بل هم اليوم
مستسلمون (26) وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (27) قالوا
إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين (28) قالوا بل لم تكونوا مؤمنين (29)
وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين (30) فحق
علينا قول ربنا إنا لذائقون (31) فأغويناكم إنا كنا غاوين (32)
فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون (33) إنا كذلك نفعل بالمجرمين
(34) إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون (35)

الصافات 35 - 22
يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم احشروا خطاب الله للملائكة الذين ظلموا كفروا وأزواجهم أى وأشباههم وقرناءهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرىء بالرفع عطفا على الضمير فى ظلموا وما كانوا يعبدون من دون الله أى الأصنام فاهدوهم دلوهم عن الأصمعى هديته فى الدين هدى وفى الطريق هداية إلى صراط الجحيم طريق النار وقفوهم احبسوهم انهم مسئولون عن أقوالهم وأفعالهم مالكم لا تنصرون أى لا ينصر بعضكم بعضا وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا متناصرين فى الدنيا وقيل هو جواب لأبى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو فى موضع النصب على الحال أى مالكم غير متناصرين بل هم اليوم مستسلمون منقادون أو قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وأقبل بعهم على بعض أى التابع على المتبوع يتساءلون يتخاصمون قالوا أى الاتباع للمتبوعين انكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن القوة والقهر إذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش أى أنكم تحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه قالوا أى الرؤساء بل لم تكونوا مؤمنين أى بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من سلطان تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما طاغين بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا جميعا قول ربنا إنا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا ممحالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن

أنفسهم ونحوه قوله فقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك فأغويناكم فدعوناكم إلى الغى انا كنا غاوين فأردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة فى العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين فى الغواية إنا كذلك نفعل بالمجرمين أى بالمشركين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون إنهم كانوا إذا

ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون (36) بل جاء بالحق وصدق المرسلين (37) إنكم لذائقوا العذاب الأليم (38) وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (39) إلا عباد الله المخلصين (40) أولئك لهم رزق معلوم (41) فواكه وهم مكرمون (42) في جنات النعيم (43) على سرر متقابلين (44) يطاف عليهم بكأس من معين (45) بيضاء لذة للشاربين (46) لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (47) وعندهم قاصرات الطرف عين (48) كأنهن بيض مكنون (49) فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (50)

الصافات 50 - 36

سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا إلا الشرك ويقولون أئنا بهمزتين شامي وكوفي لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه السلام بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون إلا ماكنتم تعملون بلا زيادة إلا عباد الله المخلصين بفتح اللام كوفى ومدنى وكذا ما بعده أى لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع اولئك لهم رزق معلوم فواكه فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات لأن أجسادهم محكمة مخلوقة للابد فما يأكلونه للتلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشية والنفس اليه أسكن وهم مكرمون منعمون فى جنات النعيم يجوز أن يكون ظرفا وأن يكون حالا وأن يكون خبرا بعد خبر وكذا على سرر متقابلين التقابل أتم للسرور وآنس يطاف عليهم بكاس بغير همز أبو عمرو وحمزة فى الوقف

وغيرهما بالهمزة يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كاسا وعن الاخفش كل كأس فى القرآن فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما من معين من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لأنه يجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر بيضاء صفة للكأس لذة وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو ذات لذة للشاربين لا فيها غول أى لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ينزفون على وحمزة أى لا يسكرون أو لا ينزف شرابهم من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه وعندهم قاصرات الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم عين جمع عيناء أى نجلاء واسعة العين كأنهن بيض مكنون مصون شبههن ببيض النعام المكنون فى الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف فأقبل بعضهم يعنى أهل الجنة على بعض يتساءلون على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

قال قائل منهم إني كان لي قرين (51)

الصافات 51 - 64
قائل منهم إنى كان لى قرين ... وما بقيت من اللذات إلا ... أحاديث ... الكرام على المدام
فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا إلا أنه جىء به ماضيا على ماعرف في اخباره قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أئنك بهمزتين شامي وكوفي لمن المصدقين بيوم الدين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء قال ذلك القائل هل أنتم مطلعون إلى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان فالجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار أو قال الله تعالى لأهل الجنة هل أنتم مطلعون إلى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار فاطلع المسلم فرآه أى قرينه فى سواء الجحيم فى وسطها قال تالله ان كدت لتردين ان مخففة من الثقيلة وهى تدخل

على كاد كما تدخل على كان واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وبالياء فى الحالين يعقوب ولولا نعمة ربى وهى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الإسلام لكنت من المحضرين من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين الفاء للعطف على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وهو أن لا يذوقوا إلا الموتة الأولى بخلاف الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لحكيم ما شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت وهذا قول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره ولا نموت إلا مرة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الأولى قد كانت فى الدنيا ثم قال لقرينه تقريعا له ان هذا أى الأمر الذى نحن فيه لهو الفوز العظيم ثم قال الله عزوجل لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل هو أيضا من كلامه أذلك خير نزلا تمييز أم شجرة الزقوم أى نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا أم شجرة الزقوم خير نزلا والنزل مايقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مر يكون بتهامة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم قيل منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها طلعها

قال قائل منهم إني كان لي قرين (51)

الصافات 77 - 65

كأنه رؤوس الشياطين الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برؤوس الشياطين للدلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر هائلة جدا فإنهم لأكلون منها من الشجرة أى من طلعها فمالئون منها البطون فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد ثم ان لهم عليها على أكلهم لشوبا لخلطا ولمزاجا من حميم ماء حار يستوي وجوههم ويقطع أمعائهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم انهم يملئون

البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون إلا بعد ملى تعذيبا لهم لذلك لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يمتلؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك ظاهر انهم ألفوا آبائهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم إياهم العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم أى أنهم قومك قريش أكثر الأولين يعنى الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل ولقد أرسلنا فيهم منذرين أنبياء حذروهم العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين أى الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا إلا عباد الله المخلصين أى إلا الذين آمنوا منهم واخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين ولما ذكر إرسال المنذرين فى الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه إياه حين أيس من قومه بقوله ولقد نادانا نوح دعانا لننجيه من الغرق وقيل أريد به قوله أنى مغلوب فانتصر فلنعم المجيبون اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى أنا أجبناه أحسن الاجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بأبلغ ما يكون ونجيناه وأهله ومن آمن به وأولاده من الكرب العظيم وهو ا لفرق وجعلنا ذريته هم الباقين وقد فنى غيرهم قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاة أولاد سام وهو أبو الحرب وفارس الروم وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب

قال قائل منهم إني كان لي قرين (51)

الصافات 89 - 78

ويافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الأمم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو الكلام المحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها في

العالمين أى ثبت هذه التحية فيهم جميعا يخلو أحد منهم كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم إنا كذلك نجزى المحسنين علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بأنه كان محسنا إنه من عبادنا المؤمنين ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الإيمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم ثم أغرقنا الآخرين أى الكفرين وان من شيعته لإبراهيم أى من شيعة نوح أى ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابره المكذبين وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما إلا نبيان هود وصالح إذ جاء ربه إذ تعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة يعنى وأن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم من الشرك أو من آفات القلوب لإبراهيم أو بمحذوف وهواذكر ومعنى المجىء بقلبه ربه أنه أخلص الله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجىء مثلا لذلك إذ بدل من الأولى قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون أئفكا مفعول له تقديره أترون آلهة من دون الله افكار وأنما قدم المفعول به على الفعل العناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على افك وباطل في شركهم ويجوز أن يكون افكا مفعولا به أى أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة دون الله على أنها افك في نفسها أو حالا أى أتريدون آلهة من دون الله آفكين فما ظنكم أى شىء ظنكم برب العالمين وأنتم تعبدون غيره ومارفع بالإبتداء والخبر ظنكم أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة فنظر نظرة فى النجوم أى نظر فى النجوم راميا ببصره إلى السماء متفكرا فى نفسه كيف يحتال أو أراهم أنه ينظر فى النجوم لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم أنه استدل بامارة على أنه يسقم فقال إنى سقيم أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه فى بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام مافعل وقالوا علم النجوم كان حقا ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب حرام إلا إذا عرض والذى قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام أى سأسقم أو من الموت فى عنقه سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابى أصحيح من الموت فى عنقه أو أراد أنى سقيم النفس لكفركم كما يقال انا مريض القلب من

قال قائل منهم إني كان لي قرين (51)

الصافات 102 - 90
كذا فتولوا فأعرضوا عنه مدبرين أى مولين الأدبار فراغ إلى آلهتهم فمال إليهم سرا فقال استهزاء ألا تأكلون وكان عندها طعام مالكم لا تنطقون والجمع بالواو والنون لما أنه خاطبها خطاب من يعقل فراغ عليهم ضربا فأقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أى ضاربا باليمين أى ضربا شديدا بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما أو بالقوة والمتانة أو بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم فأقبلوا إليه إلى إبراهيم يزفون يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يزفون حمزة من أزف إذا دخل فى الزفيف إزفافا فكأنه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فأقبل من رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فأجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ثم قالوا بأجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها فأجابهم بقوله قال أتعبدون ما تنحتون بأيديكم والله خلقكم وما تعملون وخلق ما تعملونه من الأصنام أو ما مصدرية أى وخلق أعمالكم وهو دليلنا فى خلق الأفعال أى الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره قالوا ابنوا له أى لأجله بنيانا من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا فالقوه فى الجحيم فى النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم فأرادوا به كيدا بالقائه فى النار فجعلناهم الأسفلين المقهورين عند الالقاء فخرج من النار وقال إنى ذاهب إلى ربى إلى موضع أمرنى بالذهاب إليه سيهدين سيرشدنى إلى ما فيه صلاحى فى دينى ويعصمنى ويوفقنى سيهدينى فيهما يعقوب رب هب لى من الصالحين بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب فى الولد فبشرناه بغلام حليم انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم لأن الصبى لا يوصف بالحلم وأنه يكون حليما وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك فلما بلغ معه السعى بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه

ومعه لا يتعلق مبلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقى أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعى أى الحد الذى يقدر فيه على السعى قبل مع من قال مع أبيه وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة قال يا بنى حفص والباقون بكسر الياء انى أرى فى المنام أنى أذبحك وبفتح الياء فيهما حجازى وأبو عمرو قيل له فى المنام اذبح

قال قائل منهم إني كان لي قرين (51)

الصافات 102 - 107
ابنك ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى اليقظة وإنما لم يقل رأيت لأنه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر فانظر ماذا ترى من الرأى على وجه المشاورة لا من رؤية العين ولم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر ترى على وحمزة أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه قال يا أبت افعل ما تؤمر أى ما تؤمر به وقرء به ستجدنى إن شاء الله من الصابرين علىالذبح روى أن الذبيح قال لأبيه يا أبت خذ بناصيتي واجلس بين كتفى حتى لا أوذيك إذا أصابتنى الشفرة ولا تذبحنى وأنت تنظر فى وجهى عسى أن ترحمنى واجعل وجهى إلى الأرض ويروى اذبحنى وانا ساجد وأقرأ على أمى السلام وإن رأيت ان ترد قميصى على أمى فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها فلما اسلما انقاد الأمر الله وخضعا وعن قتادة اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا روي ان ذلك المكان عند الصخرة التى بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا اى حققت ما امرناك به فى المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما

انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلولهما او الجواب قبلنا منه وناديناه معطوف عليه إنا كذلك نجزى المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة إن هذا لهو البلاء المبين الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة وفديناه بذبح هو ما بذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسماعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لسارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الاضاحى وروى أنه هرب من إبراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة وقد استشهد ابو حنيفة رضى الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة والأظهر ان الذبيح اسماعيل وهو قول ابى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضى الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده اسماعيل والآخر ابوه عبد الله وذلك ان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح آخر ولده تقربا وكان عبد الله آخرا ففداه بمائة من الإبل

قال قائل منهم إني كان لي قرين (51)

الصافات 113 - 108
ولأن قرنى الكبش كانا منوطين فى الكعبة فى أيدى بنى اسماعيل إلى أن احترق البيت فى زمن الحجاج وابن الزبير وعن الأصمعى أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان إسحق بمكة وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة وعن علي وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضى الله عنهم أنه اسحق ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله وإنما قيل وفديناه وان كان الفادى إبراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح لأنه تعالى وهب له الكبش ليفتدى به وههنا إشكال وهو أنه لا يخلوا إما أن يكون ما أتى به إبراهيم عليه السلام من بطحه على

شقة وإمرار الشفرة على حلقة فى حكم الذبح أم لا فإن كان فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هوالتخليص من الذبح ببدل وان لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح أصلا أو بدلا ولم يصح والجواب أنه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة أن تمضى فيه وهذا لا يقدح فى فعل إبراهيم ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة فى نفس إسماعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا إلا أن المحل الذى أضيف إليه لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك إبتلاء ليستقر حكم الأمر عند المخاطب فى آخر الحال على أن المبتغى منه فى حق الولد أن يصير قربانا بنسبة الحكم إليه مكرما بالفداء الحاصل لمعرة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة إلى حال المكاشفة وإنما النسخ بعد استقرار المراد بالأمر لا قبله وقد سمى فداء فى الكتاب لا نسخا وتركنا عليه فى الآخرين ولا وقف عليه لأن سلام على إبراهيم مفعول وتركنا كذلك نجزى المحسنين ولم يقل انا كذلك هنا كما فى غيره لأنه قد سبق فى هذه القصة فاستخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا حال مقدرة من اسحق ولا بد من تقدير مضاف محذوف أى وبشرناه بوجود إسحق نبيا أى بأن يوجد مقدرة نبوته فالعامل فى الحال الوجود لا البشارة من الصالحين حال ثانية وورودها علىسبيل الثناء لأن كل نبى لا بد وأن يكون من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق أى أفضلنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على إبراهيم فى أولاده وعلى إسحق بأن أخرجنا من صلبه الف نبى أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام ومن ذريتهما محسن مؤمن وظالم لنفسه كافر مبين ظاهر أو محسن إلى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود الشرع وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجرى أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على

قال قائل منهم إني كان لي قرين (51)

الصافات 135 - 114
ما وجد من اصله وفرعه ولقد مننا انعمنا على موسى وهرون بالنبوة ونجيناهما وقومهما بنى إسرائيل من الكرب العظيم من العرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم أى موسى وهرون وقومهما فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ فى بيانه وهو التوراة وهديناهما الصراط المستقيم صراط أهل الإسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون إنا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وإن إلياس لمن المرسلين هو إلياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو إدريس النبى عليه السلام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وان إدريس فى موضع إلياس إذ قال لقومه ألا تتقون ألا تخافون الله أتدعون أتعبدون بعلا هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشام وقيل فى الياس والخضر أنهما حيان وقيل الياس وكل بالفيافى كما وكل الخضر بالبحار والحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا تقول كما يقول الناس انهما حيان وتذرون أحسن الخالقين وتتركون عبادة الله الذى هو أحسن المقدرين الله ربكم ورب آبائكم الأولين بنصب الكل عراقى عير أبى بكر وأبى عمرو على البدل من أحسن وغيرهم بالرفع على الابتداء فكذبوه فانهم لمحضرون فى النار إلا عباد الله المخلصين من قومه وتركنا عليه فى الآخرين سلام على آل ياسين أى الياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيبون يعنى أبا خبيب عبد الله بن الزبير وقومه آل ياسين شامى ونافع لان ياسين اسم أبى الياس فأضيف إليه الآل انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجنياه واهله أجمعين إلا عجوزا فى الغابرين فى الباقين ثم دمرنا أهلكنا

قال قائل منهم إني كان لي قرين (51) يقول أئنك لمن المصدقين (52) أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون (53) قال هل أنتم مطلعون (54) فاطلع فرآه في سواء الجحيم (55) قال تالله إن كدت لتردين (56)

الصافات 147 - 136
الآخرين وانكم يا أهل مكة لتمرون عليهم مصبحين داخلين فى الصباح وبالليل والوقف عليه مطلق أفلا تعقلون يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم إلى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون بها وإنما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لأن الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام وان يونس لمن المرسلين إذ أبق الاباق الهرب إلى حيث لا يهتدى إليه الطلب فسمى هربه من قومه بغير إذن ربه اباقا مجازا إلى الفلك المشحون المملوء وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه فى الماء فذلك قوله فساهم فقارعهم مرة أو ثلاثا بالسهام والمساهمة إلقاء السهام على جهة القرعة فكان من المدحضين المغلوبين بالقرعة فالتقمه الحوت فابتلعه وهو مليم داخل فى الملامة فلولا أنه كان من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح أو من القائلين لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين أو من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة ويقال أن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون الظاهر لبثه حيا إلى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيامة ود لبث فى بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوما وعن الشعبى التقمه ضحوة ولفظه عشية فنبذناه بالعراء فألقيناه بالمكان الخالى الذى لا شجر فيه ولا نبات وهو سقيم عليل مما ناله من التقام الحوت وروى أنه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد وأنبتنا عليه شجرة أى أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الإنسان من يقطين الجمهور على أنه القرع وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده وأنه أسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس وأرسلناه إلى مائة الف المراد به القوم الذين بعث إليهم قبل الالتقام فتكون قد مضمرة أو يزيدون فى مرأى الناظر أى إذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو أكثر وقال

الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال ذلك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك فآمنوا به وبما أرسل به فمتعناهم

ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين (57) أفما نحن بميتين (58)

الصافات 148 - 163
حين فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون إلى حين إلى منتهى آجالهم فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله فى أول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقا وإن تباعدت بينهما المسافة أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله تعالى الأناث ولأنفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن أم خلقنا الملائكة اناثاوهم شاهدون حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لأنهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر أو معناه أنهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لافراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون فى قولهم اصطفى البنات على البنين بفتح الهمزة للاستفهام مالكم كيف تحكمون هذا الحكم الفاسد أفلا تذكرون بالتخفيف حمزة وعلى وحفص أم لكم سلطان مبين حجة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذى أنزل عليكم إن كنتم صادقين فى دعواكم وجعلوا بينه بين الله وبين الجنة الملائكة لاستتارهم نسبا وهو زعمهم أنهم بناته أو قالوا إن إن الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون ولقد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار سبحان الله عما يصفون نزه نفسه عن الولد والصاحبة الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به فإنكم يا أهل مكة وما تعبدون ومعبوديكم ما أنتم وهم

جميعا عليه على الله بفاتنين بمضلين إلا من هو صال الجحيم بكسر
اللام أى لستم تضلون أحدا إلا أصحاب النار الذين سبق فى علمه
أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها

إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين (59) إن هذا لهو الفوز العظيم (
60) لمثل هذا فليعمل العاملون (61) أذلك خير نزلا أم شجرة
الزقوم (62) إنا جعلناها فتنة للظالمين (63) إنها شجرة تخرج في
أصل الجحيم (64) طلعها كأنه رؤوس الشياطين (65) فإنهم
لآكلون منها فمالئون منها البطون (66) ثم إن لهم عليها لشوبا من
حميم (67) ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم (68) إنهم ألفوا آباءهم
ضالين (69) فهم على آثارهم يهرعون (70) ولقد ضل قبلهم أكثر
الأولين (71) ولقد أرسلنا فيهم منذرين (72) فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين (73) إلا عباد الله المخلصين (74) ولقد نادانا نوح
فلنعم المجيبون (75) ونجيناه وأهله من الكرب العظيم (76)
وجعلنا ذريته هم الباقين (77) وتركنا عليه في الآخرين (78) سلام
على نوح في العالمين (79) إنا كذلك نجزي المحسنين (80) إنه
من عبادنا المؤمنين (81) ثم أغرقنا الآخرين (82) وإن من شيعته
لإبراهيم (83) إذ جاء ربه بقلب سليم (84) إذ قال لأبيه وقومه
ماذا تعبدون (85) أإفكا آلهة دون الله تريدون (86) فما ظنكم
برب العالمين (87) فنظر نظرة في النجوم (88) فقال إني سقيم
(89) فتولوا عنه مدبرين (90) فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون (
91) ما لكم لا تنطقون (92) فراغ عليهم ضربا باليمين (93)
فأقبلوا إليه يزفون (94) قال أتعبدون ما تنحتون (95) والله
خلقكم وما تعملون (96) قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم (
97) فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين (98) وقال إني ذاهب إلى
ربي سيهدين (99) رب هب لي من الصالحين (100) فبشرناه
بغلام حليم (101) فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في
المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني
إن شاء الله من الصابرين (102) فلما أسلما وتله للجبين (103)
وناديناه أن يا إبراهيم (104) قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي
المحسنين (105) إن هذا لهو البلاء المبين (106) وفديناه بذبح
عظيم (107) وتركنا عليه في الآخرين (108) سلام على إبراهيم
(109) كذلك نجزي المحسنين (110) إنه من عبادنا المؤمنين (

111) وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين (112) وباركنا عليه
وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين (113) ولقد
مننا على موسى وهارون (114) ونجيناهما وقومهما من الكرب
العظيم (115) ونصرناهم فكانوا هم الغالبين (116) وآتيناهما
الكتاب المستبين (117) وهديناهما الصراط المستقيم (118)
وتركنا عليهما في الآخرين (119) سلام على موسى وهارون (
120) إنا كذلك نجزي المحسنين (121) إنهما من عبادنا المؤمنين
(122) وإن إلياس لمن المرسلين (123) إذ قال لقومه ألا تتقون
(124) أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين (125) الله ربكم
ورب آبائكم الأولين (126) فكذبوه فإنهم لمحضرون (127) إلا
عباد الله المخلصين (128) وتركنا عليه في الآخرين (129) سلام
على إل ياسين (130) إنا كذلك نجزي المحسنين (131) إنه من
عبادنا المؤمنين (132) وإن لوطا لمن المرسلين (133) إذ نجيناه
وأهله أجمعين (134) إلا عجوزا في الغابرين (135) ثم دمرنا
الآخرين (136) وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (137) وبالليل أفلا
تعقلون (138) وإن يونس لمن المرسلين (139) إذ أبق إلى
الفلك المشحون (140) فساهم فكان من المدحضين (141)
فالتقمه الحوت وهو مليم (142) فلولا أنه كان من المسبحين (
143)

الصافات 173 - 164

يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فانكم أيها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الأصنام ما أنتم على عبادة الأوثان بمضلين أحدا إلا من قدر عليه أن يصلى الجحيم أى يدخل النار وقيل ما أنتم بمضلين إلا من أوجبت عليه الضلال فى السابقة وما في ما أنتم نافية ومن فى موضع النصب بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه أن يكون جمعا فحذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه وما منا أحد إلا له مقام معلوم فى العبادة لا يتجاوزه فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وإنا لنحن الصافون نصف أقدامنا فى الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين وإنا لنحن المسبحون المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من

قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فإذا صح ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه إلا من كان من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة وما نحن إلا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما ممحمودا ثم ذكر أعمالهم وأنهم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه وإن كانوا ليقولون أى مشركوا قريش قبل مبعثه عليه السلام لو أن عندنا ذكرا من الأولين أى كتابا من كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والإنجييل لكنا عباد الله المخلصين لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الأذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب فكفروا به فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وأخره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الكلمة قوله إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وإنما سماها كلمة وهى كلمات لأنها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة والمراد الوعد بعلوهم على عدوهم فى مقام

للبث في بطنه إلى يوم يبعثون (144) فنبذناه بالعراء وهو سقيم (145) وأنبتنا عليه شجرة من يقطين (146) وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون (147) فآمنوا فمتعناهم إلى حين (148) فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون (149) أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون (150) ألا إنهم من إفكهم ليقولون (151) ولد الله وإنهم لكاذبون (152) أصطفى البنات على البنين (153) ما لكم كيف تحكمون (154) أفلا تذكرون (155) أم لكم سلطان مبين (

156) فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين (157) وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون (158) سبحان الله
عما يصفون (159) إلا عباد الله المخلصين (160) فإنكم وما
تعبدون (161) ما أنتم عليه بفاتنين (162) إلا من هو صال الجحيم
(163) وما منا إلا له مقام معلوم (164) وإنا لنحن الصافون (
165) وإنا لنحن المسبحون (166) وإن كانوا ليقولون (167) لو
أن عندنا ذكرا من الأولين (168) لكنا عباد الله المخلصين (169)
فكفروا به فسوف يعلمون (170) ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين (171) إنهم لهم المنصورون (172) وإن جندنا لهم
الغالبون (173) فتول عنهم حتى حين (174) وأبصرهم فسوف
يبصرون (175) أفبعذابنا يستعجلون (176) فإذا نزل بساحتهم
فساء صباح المنذرين (177) وتول عنهم حتى حين (178) وأبصر
فسوف يبصرون (179) سبحان ربك رب العزة عما يصفون (
180) وسلام على المرسلين (181) والحمد لله رب العالمين (
182)

الصافات 182 - 174
الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة وعن الحسن ما غلب نبى فى حرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى والحاصل أن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين إلى مدة يسيرة وهى المدة التى أمهلوا فيها أو إلى يوم بدر أو إلى فتح مكة وأبصرهم أى أبصر ما ينالهم يومئذ فسوف يبصرون ذلك وهو للوعيد لا للتبعيد أو انظر إليهم إذا عذبوا فسوف يبصرون ما أنكروا أو أعلمهم فسوف يعلمون أفبعذابنا يستعجلون قبل حينه فإذا نزل العذاب بساحتهم بفنائهم فساء صباح المنذرين صباحهم واللام فبالمنذرين مبهم فى جنس من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فانكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وإن وقعت فى وقت آخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف

يبصرون وإنما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى إطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخرة عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لأحد إلا وهو ربها ومالكها كقوله نعز من نشاء عما يصفون من الولد والصاحبة والشريك وسلام على المرسلين عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض فى السورة لأن فى تخصيص كل بالذكر تطويلا والحمد لله رب العالمين على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوه إليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

ص والقرآن ذي الذكر (1) بل الذين كفروا في عزة وشقاق (2) كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص (3) وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (4) أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب (5)

ص 5 - 1
ص
بسم الله الرحمن الرحيم ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق
سورة ص مكية وهى ثمان وثمانون آية كوفى وتسع بصرى وست مدنى

بسم الله الرحمن الرحيم
ص ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الإعجاز ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كأنه قال والقرآن ذى الذكر أى ذى الشرف إنه لكلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة كأنه قال هذه ص أى هذه السورة التى أعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر إنه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا فى عزة تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق خلاف الله ولرسوله والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرىء فى عزة أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق كم اهلكنا وعيد لذوى العزة والشقاق من قبلهم من قبل قومك من قرن من أمة فنادوا فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب ولات هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضييها أما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الأحيان وقوله حين مناص منجا منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما أن النصب على تقدير ولات حين مناص أى وليس الحين حين مناص وعجبوا أن جاءهم من أن جاءهم منذر منهم رسول من أنفسهم بنذرهم يعنى استبعدوا أن يكون النبى من البشر وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب ولم يقل وقالوا إظهار للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى إذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج وروى أن عمر رضى الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبى طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا فى الإسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك

وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد (6) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق (7) أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب (8) أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب (9) أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب (10)

ص 10 - 6

السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسألوننى فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه السلام أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا أى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا أى أصير ان هذا الشىء عجاب أى بليغ فى العجب وقيل العجيب ماله مثل والعجاب مالا مثل له وانطلق الملأ منهم أن امشوا وانطلق أشراف قريش عن مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وأن بمعنى أى لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول واصبروا على عبادة آلهتكم إن هذا الأمر لشىء يراد أى يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر أو أن هذا الأمر لشىء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه ماسمعنا بهذا التوحيد فى الملة الآخرة فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لأن النصارى مثلثة غير موحدة أو فى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا إن هذا ماهذا إلا اختلاق كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه أأنزل عليه الذكر القرآن من بيننا أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا بل هم فى شك من ذكرى من القرآن بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابى بعد فإذا ذاقوه زال عنهم مابهم من الشك والحسد حينئذ أى أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب يعنى ماهم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد وإنما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب

المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ما تقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما حتى يتكلموا فى الأمور الربانية والتدابير الالهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى الرحمة فليرتقوا فى الأسباب فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها إلى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحى إلى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله جند مبتدأ ما صلة مقوية للنكرة المبتدأة هنالك اشارة إلى بدر ومصارعهم أو إلى حيث وضعوا فيه

جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب (11) كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد (12) وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب (13) إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب (14) وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق (15) وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب (16) اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب (17) إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق (18) والطير محشورة كل له أواب (19)

ص 17 - 11
أنفسهم من الانتداب لئل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك خبر المبتدأ مهزوم مكسور من الأحزاب متعلق بجند أو بمهزوم يريد ماهم الا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون كذبت قبلهم قبل أهل مكة قوم نوح نوحا وعاد هودا وفرعون موسى ذو الأوتاد قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة أوتاد فى يديه ورجليه وثمود وهم قوم صالح صالحا وقوم لوط لوطا وأصحاب الأيكة الغيضة شعيبا أولئك الأحزاب أراد بهذه ء الاشارة الاعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم هذا وهو ان أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك أى ما أمر إلا بهذا الخبرية على وجه الابهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها وبين المكذب وهم الرسل وذكر أن كل واحد من الأحزاب كذب جميع

الرسل لأن فى تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم وفى تكرير التكذيب وإيضاحه بعد ابهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا ومافى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم استحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال فحق عقاب أى فوجب لذلك أن أعقابهم حق عقابهم عذابى وعقابى فى الحالين يعقوب وما ينظر هؤلاء وما ينتظر أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب إلا صيحة واحدة أى النفخة الأولى وهى الفزع الأكبر مالها من فواق وبالضم حمزة وعلى أى مالها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتى الحالب أى إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس رضى الله عنهما مالها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر إلى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد وقالوا ربنا عجل لنا قلنا حظنا من الجنة لأنه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله ويستعجلونك بالعذاب وأصل القط القسط من الشىء لانه قطعة منه من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون فيك وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر عبدنا داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من عقاب الله ما لقى ذا الأيد ذا القوة فى الدين مما يدل على أن الأيد القوة فى الدين قوله انه أواب أى

وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب (20) وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب (21) إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط (22)

ص 22 - 18

رجاح إلى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لذى الايد روى أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل انا سخرنا ذللنا الجبال معه قيل كان تسخيرها أنها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث

يريد يسبحن فى معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شىء وحالا بعد حال بالعشى والاشراق أى فى طرفى النهار والعشى وقت العصر إلى الليل والاشراق وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضىء وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية والطير محشورة وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها كل له أواب كل واحد من الجبال والطير لأجل داود أى لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الأواب موضع المسبح لأن الاواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه وآتيناه الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هوالتمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه فىالقضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن على رضى الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعى واليمين على المدعي عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبى هو قوله أما بعد وهو أول من قال أما بعد فان من تكلم فى الأمر الذى له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد وهل أتاك نبؤا الخصم ظاهرة الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لأنه مصدر فى الأصل تقول خصمه خصما وانتصاب اذ بمحذوف تقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل تسوروا المحراب تصعدوا سورة ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد اذ بدل من الأولى دخلوا على داود ففزع

منهم روى أن الله

إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب (23) قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب (24) فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (25)

ص 23 - 22

تعالى بعث إليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم دخلوا عليه المحراب فى غير يوم القضاء ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه قالوا لا تخف خصمان خبر مبتدأ محذوف أى نحن خصمان بغى بعضنا على بعض تعدى وظلم فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق واهدنا الى سواء الصراط وارشدنا الا وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روى أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته وكان لهم عادة في المواساة بذلك وكان الأنصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلته أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه ومايحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وقال على رضى الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين

وهو حد الفرية على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث وقال ان كانت القصة على ما فى كتاب الله فما ينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى اظهارها عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله بقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها ابلغ فى التوبيخ من قبل ان التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة ان هذا أخى هو بدل من هذا او خبر لان والمراد أخوة الدين او أخوة الصداقة والالفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطاء له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ولى حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصوير للمسالة وفرضا لها لا يمتنع أن يفرض الملائكة فبأنفسهم كما تقول لى أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها ومالكما من الاربعين إلا أربعة ولى ربعها فقال أكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى وعن عباس رضى الله عنهما اجعلها كفلى أى نصيبى وعزتي وغلبنى يقال عزه ويعزه فى الخطاب فى الخصومة أى أنه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد

يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (26)

ص 26 - 24
بالخطاب ممخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبني فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى ووجه التمثيل أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراد على الخروج من ملكها إليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وإنما كان ذلك على وجه التحاكم إليه ليحكم

بما حكم به من قوله قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كأنه قيل باضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب وإنما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لأنه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الانف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه وان كثيرا من الخلطاء الشركاء والأصحاب ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم وقليل ماهم ما للابهام وهم مبتدا وقليل خبره وظن داود أى علم وأيقن وإنما استعير له لان الظن الغالب يدانى العلم إنما فتناه ابتليناه فاستغفر ربه لزلته وخر راكعا أى سقط على وجهه ساجدا لله وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود فى الصلاة إذا نوى لأن المراد مجرد ما يصلح تواضعا عند هذه التلاوة والركوع فى الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع فى غير الصلاة وأناب ورجع إلى الله بالتوبة وقيل انه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع راسه إلا لصلاة مكتوبة أو مالا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع فغفرنا له ذلك أى زلته وان له عندنا لزلفى لقربة وحسن مآب مرجع وهو الجنة يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض أى استخلفناك على الملك فى الأرض أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق أى بحكم الله ان كنت خليفته أو بالعدل ولا تتبع الهوى أى هوى النفس فى قضائك

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (27) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار (28) كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب (29) ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب (30) إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد (31)

ص 31 - 26
فيضلك الهوى عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله دينه لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب أى بنسيانهم يوم الحساب وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما من الخلق باطلا خلقا باطلا لا لحمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم ذلك اشارة إلى خلقها باطلا ظن الذين كفروا الظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وإنما جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة مع اقرارهم بأنه خالق السموات والأرض وما بينهما لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لأنه لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا إلى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لأن الجزاء هو الذى سبقت إليه الحكمة في خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة فى خلق العالم فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما كتاب أى هذا كتاب أنزلناه إليك يعنى القرآن مبارك صفة أخرى ليدبروا آياته وأصله ليتدبروا قرىء به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن الحسن قد قرا هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده لتدبر واعلى الخطاب بحذف احدى التاءين يزيد وليتذكر أولوا الألباب وليتعظ بالقرآن أولوا العقول ووهبنا لداود سليمان نعم العبد أى سليمان وقيل داود وليس بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف انه أواب وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا أى كثير الرجوع إلى الله تعالى إذ عرض عليه على سليمان بالعشى بعد الظهر الصافنات الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر الجياد السراع جمع جواد لانه يجود بالركض وصفها بالصفون لأنه لا يكون فى الهجان

فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب (32) ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق (33) ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب (34) قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب (35) فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (36)

ص 35 - 32
إنما هو فى العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها وإذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وقيل الجياد الطوال الأعناق من الجيد وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله فبقى مائة فما فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بأمره فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى أى آثرت حب الخيل عن ذكر ربى كذا عن الزجاج فأحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وقال أبو على أحببت بمعنى جلست من أحباب البعير وهو بروكه حب الخير أى المال مفعول له مضاف إلى المفعول حتى توارت الشمس بالحجاب والذى دل على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشى ولا بد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر أوالضمير للصافنات أى حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام ردوها على أى قال للملائكة ردوا الشمس على لأصلى العصر فردت الشمس له وصلى العصر أو ردوا الصافنات فطفق مسحا بالسوق والأعناق فجعل يمسح مسحا أى يمسح السيف بسوقها وهى جمع ساق كدار ودور وأعناقها يعنى يقطعها لأنها منعته عن الصلاة تقول مسح علاوته إذا ضرب عنقه ومسح السفر الكتاب إذا قطع

أطرافه بسيفه وقيل إنما فعل ذلك كفارة لها أو شكرا لرد الشمس وكانت الخيل مأكولة فى شريعته فلم يكن إتلافا وقيل مسحها بيده استحسانا لها وإعجابا بها ولقد فتنا سليمان ابتليناه وألقينا على كرسيه سرير ملكه جسدا ثم أناب رجع الله قيل فتن سليمان بعد ما مالك عشرين سنة وملك بعد الفتنه عشرين سنة وكان من فتنة أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخله فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه في السحابة خوفا من مضرة الشياطين فألقى ولده ميتا على كرسية فتنبه على زلته في أن لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبى ص - قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتى بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجىء به على كرسيه فوضع في حجرة فوالذى نفس محمد بيده لو قال أن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود قال رب اغفر لي وهب لى ملكا قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الأنبياء

والشياطين كل بناء وغواص (37) وآخرين مقرنين في الأصفاد (38) هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (39) وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (40) واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (41)

عليهم السلام والصالحين في تقديم الاستغفار على السؤال لا ينبغى لا يتسهل ولا يكون لأحد من بعدى أى دونى وبفتح الياء مدنى وأبو عمر وإنما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لأحسدا وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات غنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح الرياح أبو جعفر تجرى حال من الريح بأمره سليمان رخاء لينة طيبة لا تزعزع وهو حال من ضمير تجرى حيث ظرف تجرى أصاب قصد وأرد والعرب تقول أساب الصواب فأخطأ الجواب والشياطين كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية وغواص أى ويغصون له

في البحر لإخراج اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلو من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد وسمى به العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول على رضى الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك هذا الذى أعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا فامنن فأعط منه ما شئت من المنة وهي العطاء أو أمسك عن العطاء وكان إذا أعطى أجر وان منع لم يأثم بخلاف غيره بغير حساب متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أى هذا عطاؤنا

ص 41 - 35

جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره أو هذا التسخير عطاؤنا فامنن على ما شئت من الشياطين بالاطلاق أو امسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب أى لاحساب عليك فى ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب لزلفى اسم ان والخبر له والعامل فى عند الخبر واذكر عبدنا أيوب هو بدل من عبدنا أو عطف بيان إذ بدل اشتمال منه نادى ربه دعاه أني مسنى بأبي مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسه لانه غائب الشيطان بنصب قراءة العامة بنصب يزيد تثقيل نصب ينصب كرشد ورشد يعقوب بنصب على أصل المصدر هبيرة والمعنى واحد وهو التعب والمشقة وعذاب يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل اراد ما كان يوسوس به إليه فى مرضه من تعظيم مانزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسال عنه فقيل ألقى إليه الشيطان أن الله لا يبتلى الأنبياء والصالحين وذكر فى سبب بلائه أنه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع أو رأى منكرا فسكت عنه او ابتلاه الله لرفع الدراجات بلا زلة سبقت منه اركض

اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (42) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (43) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب (44) واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار (45)

هذا مغتسل بارد وشراب برجلك حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أى أرسلنا إليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أى اضرب برجلك الأرض وهى أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب أى هذا ما تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله تعالى ووهبنا له أهله ومثلهم معهم قيل أحياهم الله تعالى بأعيانهم وزاده مثلهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب مفعول لهما أى الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء وخذ معطوف على اركض بيدك ضغثا حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر فاضرب به ولا تحنث وكان حلف فى مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ فحلل الله يمينه باهون شىء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة من المائة والسبب فى يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة فى حاجة فخرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام إذا قام إنا وجدناه علمناه صابرا علىالبلاء نعم قد شكا إلى الله مابه واسترحمه لكن الشكوى إلى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بني وحزنى إلى الله على أنه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان نعم العبد أيوب انه أواب واذكر عبادنا عبدنا مكى إبراهيم واسحق ويعقوب فمن جمع فإبراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فإبراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدى غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملا لا تتأتى فيه المباشرة بالأيدى أو كان العمال جذماء لا أيدى لهم وعلى هذا ورد قوله أولى الأيدى والأبصار أى أولى الأعمال الظاهرة والفكر الباطنة كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يتفكرون أفكار ذوى الديات في حكم ا لزمنى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم

يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما انا أخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ذكرى الدار ذكرى فى محل النصب

إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (46) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (47) واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار (48) هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب (49) جنات عدن مفتحة لهم الأبواب (50) متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب (51) وعندهم قاصرات الطرف أتراب (52) هذا ما توعدون ليوم الحساب (53) إن هذا لرزقنا ما له من نفاد (54)

ص 54 - 47
أو الرفع بإضمار أعنى أو هى أو الجر على البدل من خالصة والمعنى انا أخلصناهم بذكرى الدار والدار هنا الدار الآخرة يعنى جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة ويزهدونهم فى الدنيا كما هو دين الأنبياء عليهم السلام أو معناه أنهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله وينسون ذكر الدنيا بخالصة ذكرى الدار على الاضافة مدنى ونافع وهى من إضافة الشىء إلى مايبينه لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى وذكرى مصدر مضاف إلى المفعول أى باخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فهى مضافة إلى الفاعل أى بأن خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر إنما همهم ذكرى الدار لا غير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا وهذا شىء قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم فى الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا وإنهم عندنا لمن المصطفين المختارين من بين أبناء جنسهم الاخيار جمع خير أو خير على التخفيف كأموات فى جمع ميت أو ميت واذكر اسماعيل واليسع كأن حرف التعريف دخل على يسع وذا الكفل وكل التنوين عوض عن المضاف إليه أى وكلهم من الاخيار هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب أى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فىالآخرة إلى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع فقال

جنات عدن بدل من حسن مآب مفتحة حال من جنات لأنها معرفة لاضافتها إلى عدن وهو علم والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل لهم الأبواب ارتفاع الأبواب بأنها فاعل مفتحة والعائد محذوف أى مفتحة لهم الأبواب منها فحذف كما حذف فى قوله فان الجحيم هى الماوى أى لهم أو أبوابها إلا أن الأول أجود أو هى بدل من الضمير فى مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الأبواب وهو من بدل الاشتمال متكئين حال من المحرور فى لهم والعامل مفتحة فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب أى وشراب كثير فحذف اكتفاء بالأول وعندهم قاصرات الطرف أى قصرن طرفهن علىأزواجهن أتراب لذات أسنانهن كأسنانهم لأن التحاب بين الاقران أثبت كأن اللذات سمين أترابا لأن التراب مسهن فى وقت واحد هذا ما توعدون وبالياء مكى وأبو عمرو ليوم الحساب أى ليوم تجزى كل نفس بما عملت إن هذا لرزقنا ماله من نفاد من انقطاع والجملة حال من الرزق والعامل الاشارة هذا خبر والمبتدأ محذوف أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر

هذا وإن للطاغين لشر مآب (55) جهنم يصلونها فبئس المهاد (56) هذا فليذوقوه حميم وغساق (57) وآخر من شكله أزواج (58) هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار (59)

ص 63 - 55

وإن للطاغين لشر مآب مرجع جهنم بدل منه يصلونها يدخلونها فبئس المهاد شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم هذا فليذوقوه حميم وغساق أى هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدأ وحميم خبره وغساق عطف على الخبر فليذوقوه اعتراض أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق بالتشديد حمزة وعلى وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وآخر أى وعذاب آخر أو مذوق آخر من شكله من مثل العذاب المذكور وأخر بصرى أى ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة أزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اى

دخل النار فى صحبتكم والاقتحام الدخول فى الشيء بشدة والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أى أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبائم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم إنهم صالوا النار أى داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم ولا مرحبا بهم أنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا أى الاتباع بل أنتم لامرحبا بكم أى الدعاء الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقوله أنتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب أو لصليهم أى أنكم دعوتمونا إليه فكفرنا باتباعكم فبئس القرار أى النار قالوا أى الأتباع ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا أي مضاعفا فىالنار ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله وقالوا الضمير لرؤساء الكفرة مالنا لا نرى رجالا يعنون فقراء المسلمين كنا نعدهم فى الدنيا من الأشرار من الأرذال الذين لا خير فيهم ولاجدوى اتخذناهم سخريا بلفظ الاخبار عراقى غير عاصم على أنه صفة لرجالا مثل كنا نعدهم من الأشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على أنه إنكار على أنفسهم فى الاستسخار منهم سخريا مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل أم زاغت مالت عنهم الأبصار هو متصل بقوله

قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار (60)
قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار (61) وقالوا ما
لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار (62) أتخذناهم سخريا أم
زاغت عنهم الأبصار (63) إن ذلك لحق تخاصم أهل النار (64) قل
إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار (65) رب السماوات
والأرض وما بينهما العزيز الغفار (66) قل هو نبأ عظيم (67) أنتم
عنه معرضون (68) ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون
(69) إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين (70) إذ قال ربك للملائكة
إني خالق بشرا من طين (71) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين (72)

ص 72 - 64
مالنا أي ما لنا لا نراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفى عليهم مكانهم إن ذلك الذى حكينا عنهم لحق لصدق كائن لا محالة لا بد أن يتكلموا به ثم بين ماهو فقال هو تخاصم أهل النار ولما شبه تقاولهم ومايجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سماه تخاصما ولأن قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركى مكة إنما أنا منذر ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى وما من إله إلا الله وأقول لكم ان دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا إله إلا الله الواحد بلا ند ولاشريك القهار لكل شىء رب السموات والأرض وما بينهما له الملك والربوبية فى العالم كله العزيز الذى لا يغلب إذا عاقب الغفار لذنوب من التجأ إليه قل هو أى هذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة ثم أنتم عنه معرضون غافلون ما كان لى حفص من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون احتج لصحة نبوته بأن ما ينبىء به عن الملإ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم مالم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحى من الله تعالى إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين أى لانما أنا نذير مبين ومعناه مايوحى إلى الا للانذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلى إلا هذا وهو ان أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك أى ما أمر إلا بهذا الأمر وحده وليس لى غير ذلك وبكسر إنما يزيد على الحكاية أى إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعى شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والأنبياء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضى الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملإ الأعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس لأنهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم وإذ يختصمون متعلق بمحذوف إذ المعنى ما كان لى من علم بكلام الملإ الأعلى وقت اختصامهم إذ قال ربك بدل من إذ يختصمون أى فى شان آدم حين قال تعالى على لسان ملك للملائكة إنى خالق بشرا

من طين وقال إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها فإذا سويته فإذا أتممت خلقته وعدلته ونفخت فيه

فسجد الملائكة كلهم أجمعون (73) إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين (74) قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين (75) قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (76) قال فاخرج منها فإنك رجيم (77) وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين (78) قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون (79) قال فإنك من المنظرين (80) إلى يوم الوقت المعلوم (81) قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين (82) إلا عبادك منهم المخلصين (83) قال فالحق والحق أقول (84) لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (85) قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين (86) إن هو إلا ذكر للعالمين (87) ولتعلمن نبأه بعد حين (88)

ص 81 - 72

من روحى الذى خلقته واضافه إليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله والمعنى أحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا أمر من وقع يقع أى أسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا له ساجدين قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية فسجد الملائكة كلهم أجمعون كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم جميعهم في وقت واحد غير متفرقين فى أوقات إلا إبليس استكبر تعظيم عن السجود وكان من الكافرين وصار من الكافرين بإباء الأمر قال إبليس ما منعك أن تسجد ما منعك عن السجود لما خلقت بيدى أى بلا واسطة امتثالا لأمرى وإعظاما لخطابى وقد مر أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده فغلبت العمل باليدين على سائر الأعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو ماعملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك أو كنا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدى استكبرت استفهام انكار أم كنت من العالين ممن علوت وفقت وقيل استكبرت

الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين يعنى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلى فكيف أسجد لمن هو دونى لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهى خلقتي من نار مجرى المعطوف عطف البيان والايضاح قال فاخرج منها من الجنة أو من السموات أو من الخلقة التى أنت فيها لأنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا فإنك رجيم مرجوم أي مطرود تكبر إبليس أن يسجد لمن خلق من طين وزل عنه أن الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره إجلالا لخطابه وتعظيما لأمره فصار مرجوما ملعونا بترك أمره وإن عليك لعنتى بفتح الياء مدنى أى إبعادى من كل الخير إلى يوم الدين أى يوم الجزاء ولا يظن أن لعنته غايتها يوم الدين ثم تنقطع لأن معناه أن عليه اللعنة فى الدنيا وحدها فإذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد أو لما كان عليه اللعنة فى أوان الرحمة فأولى أن تكون عليه فى غير أوانها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين قال رب فانظرنى فامهلنى إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم الوقت المعلوم الوقت الذى تقع فيه النفخة الأولى ويومه اليوم الذى هو وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (1) إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين (2)

ص 88 - 82
الزمر 2 - 1
المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين أى أقسم بعزة الله وهى سلطانه وقهره إلا عبادك منهم المخلصين وبكسر اللام مكى وبصرى وشامي قال فالحق بالرفع كوفى غير على علي الابتداء أى الحق منى أو على الخبر أى أنا الحق وغيرهم بالنصب علىأنه مقسم به كقوله الله لأفعلن كذا يعنى حذف عنه الباء فانتصب وجوابه لأملان والحق أقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب بأقول ومعناه ولاأقول إلا

الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذى فى قوله ان الله هو الحق أو الحق الذى هو نقيض الباطل عظمة الله بإقسامه به لأملأن جهنم منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم أجمعين أى لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدا قل ما أسئلكم عليه من أجر الضمير للقرآن أو للوحى وما أنا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحللون بما ليسوا من أهله وما عرفتمونى قط متصنعا ولا مدعيا بما ليس عندى حتى انتحل النبوة وأتقول القرآن إن هو ما القرآن إلا ذكر من الله للعالمين للثقلين أوحى إلى فانا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى مالا ينال ويقول مالا يعلم ولتعلمن نبأه نبأ القرآن ومافيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور بعد حين بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفق

سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب أى القرآن مبتدأ خبره من الله أى نزل من عند الله أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله العزيز فى سلطانه الحكيم فى تدبيره إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق هذا ليس بتكرار

ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار (3) لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار (4) خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار (5) خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون (6)

الزمر 5 - 2
لأن الأول كالعنوان للكتاب والثانى لبيان ما في الكتاب فاعبد الله مخلصا حال له الدين أى ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصا وقرىء الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا ألا لله الدين الخالص أى هو الذى وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والأسرار وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وعن الحسن الإسلام والذين اتحذوا من دونه أولياء أى آلهة وهو مبتدا محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الأصنام يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى مصدر أى تقريبا إن الله يحكم بينهم بين المسلمين والمشركين فيما هم فيه يختلفون قيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض قالوا الله فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار أى لا يهدى من هو فى علمه أنه يختار الكفر يعنى لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء أي لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون أنتم وتشاؤون سبحانه نزه ذاته عن أن يكون له أخذ ما نسبوا إليه من الأولياء والأولاد ودل على ذلك بقوله هو الله الواحد القهار يعنى أنه واحد متبرىء عن انضمام الاعداد متعال عن التجزؤ والولاد قهار غلاب لكل شىء ومن الأشياء آلهتهم فأنى يكون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب بقوله خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها والمعنى أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه فى تغييبه إياه بشىء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار وأن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض وسخر الشمس

إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور (7) وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار (8)

الزمر 8 - 5
والقمر كل يجرى لأجل مسمى أى يوم القيامة ألا هو العزيز الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما الغفار لمن فكر واعتبر فآمن بمدبرهما خلقكم من نفس واحدة أي آدم عليه السلام ثم جعل منها زوجها أى حواء من قصيراه قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وأنزل لكم من الأنعام أى جعل عن الحسن أو خلقها فى الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها أو لأنها لا تعيش إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها ثمانية أزواج ذكر وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز كما بين فى سورة الأنعام والزوج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم إلى تمام الخلق فى ظلمات ثلاث ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم الذى هذه مفعولاته هو الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره ثم بين أنه غنى عنهم بقوله ان تكفروا فإن الله غنى عنكم عن إيمانكم وأنتم محتاجون إليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالإيمان ولا يرضى لعباده الكفر لأن الكفر ليس برضا الله تعالى وإن كان بارادته وإن تشكروا فتؤمنوا يرضه لكم أى يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والاشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم يرضه ولا تزر وازرة وزر أخرى أى لا يؤاخذ أحد بذنب آخر ثم إلى ربكم مرجعكم إلى جزاء ربكم رجوعكم فينبئكم بما كنتم تعملون فيخبركم باعمالكم ويجازيكم عليها إنه عليم بذات الصدور بخفيات القلوب وإذا مس الإنسان هو ابو جهل أو كل كافر ضر بلاء وشدة والمس فى الاعراض مجاز دعا ربه منيبا إليه راجعا إلى الله بالدعاء لا يدعو غيره

ثم إذا خوله أعطاه نعمة منه من الله عز وجل نسى ما كان يدعو اليه من قبل أى

أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب (9) قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (10)

الزمر 10 - 8
نسى ربه الذى كان يتضرع إليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والأنثى أو نسى الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه وجعل لله أندادا أمثالا ليضل مكى وأبوعمرو ويعقوب عن سبيله أي الإسلام قل يا محمد تمتع أمر تهديد بكفرك قليلا أى فى الدنيا إنك من أصحاب النار من أهلها أمن قرأ بالتخفيف مكى ونافع وحمزة على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على ادخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره أى أمن هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون آناء الليل ساعاته ساجدا وقائما حالان من الضمير فى قانت يحذر الآخرة أى عذاب الآخرة ويرجوا رحمة ربه أى الجنة ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله ويحذر عقابه لتقصيره فى عمله ثم الرجاء إذا جاوز حده يكون أمنا والخوف إذا جاوز حده يكون أياما وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فيجب أن لا يجاوز أحدهما حده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون أى يعلمون ويعملون به كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهله حيث جعل الفانتين هم العلماء أو أريد به التشبيه أى كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى المطيع والعاصى إنما يتذكر أولوا الألباب جمع لب أى إنما يتعظ بوعظ الله أولوا العقول قل يا عباد الذين آمنوا

يلا ياء عند الاكثر اتقوا ربكم بامتثال اوامره واجتناب نواهيه للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة أي أطاعوا الله فى الدنيا وفى يتعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أى حسنة لا توصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية ومعنى وأرض الله واسعة أى لا عذر للمفرطين فى الاحسان ألبته حتى ان اعتلوا بأنهم لا يتمكنون فى أوطانهم من التوفر على الاحسان قيل لهم فان أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا إلى

قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين (11) وأمرت لأن أكون أول المسلمين (12) قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (13) قل الله أعبد مخلصا له ديني (14) فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين (15) لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون (16)

الزمر 16 - 10

بلاد أخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين فى مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم إنما يوفى الصابرون على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير أجرهم بغير حساب عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى إليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الأجر أي موفرا قل إنى أمرت أن أعبد الله بأن أعبد الله مخلصا له الدين أى أمرت باخلاص الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين وأمرت بذلك لأجل أن أكون اول المسلمين اى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى أن الاخلاص له السبقة فى الدنيا فمن أخلص كان سابقا فالأول أمر بالعبادة مع الاخلاص والثانى بالسبق فلاختلاف جهتيهما نزلا منزله المختلفين فصح عطف أحدهما على الآخر قل إنى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم لمن دعاك بالرجوع إلى دين آبائك وذلك أن كفار قريش قالوا له عليه السلام الاتنظر إلى أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت ردا عليهم قل الله اعبد مخلصا له دينى وهذه الآية اخبار بأنه

يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره والأولى اخبار بأنه مأمور بالعبادة والاخلاص فالكلام أولا واقع فى نفس الفعل واثباته وثانيا فيما يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ماشئتم من دونه وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام ان خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت قل إن الخاسرين أى الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه الذين خسروا انفسهم باهلاكها فى النار وأهليهم أى وخسروا أهليهم يوم القيامة لانهم أضلوهم فصاروا إلى النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله ألا ذلك هو الخسران المبين حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا بالجنة نارا وبالدرجات دركات لهم من فوقهم ظلل أطباق من النار ومن تحتهم ظلل أطباق من النار وهى ظلل لآخرين أى النار محيطة بهم ذلك الذى وصف من العذاب أو ذلك الظلل يخوف الله به عباده ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه ياعباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه والذين اجتنبوا

والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد (17) الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب (18) أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار (19) لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد (20) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب (21)

الزمر 21 - 17
الطاغوت الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع

وقرىء الطواغيت أن يعبدوها بدل الاشتمال من الطاغوت أي عبادتها وأنابوا رجعوا إلى الله لهم البشرى هى البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون فبشر وعبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه هم الذين اجتنبوا وأنابوا وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقادا فى الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حرصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب أى المنتفعون بعقولهم أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب أى وجب أفانت تنقذه جملة شرطية دخلت عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هى الأولى كررت لتوكيد معنى الانكار ووضع من فى النار موضع الضمير أى تنقذه فالآية على هذا جملة واحدة أو معناه أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه أفأنت تنقذه أى لا يقدر أحد أن ينقذ من أضله الله وسبق فى علمه أنه من أهل النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها يعنى للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار أى من تحت منازلها وعد الله لا يخلف الله الميعاد وعد الله مصدر مؤكد لأن قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء يعنى المطر وقيل كل ماء فى الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه فأدخله ينابيع فى الأرض عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فبالأجساد وينابيع نصب على الحال أو على الظرف وفى الأرض صفة لينابيع ثم يخرج به بالماء زرعا مختلفا

أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين (22) الله نزل أحسن

الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد (23)

الزمر 23 - 21
ألوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك ثم يهيج يجف فتراه مصفرا بعد نضارته وحسنه ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا فالحطام ما تفتت وتكسر من النبت وغيره إن فى ذلك في انزال الماء وإخراج الزرع لذكرى لأولى الألباب لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن إهمال وتعطيل أفمن شرح الله صدره أى وسع صدره للاسلام فاهتدى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فهل لذلك من علامة قال نعم الانابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت فهو على نور من ربه بيان وبصيرة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فحذف لأن قوله فويل للقاسية قلوبهم يدل عليه من ذكر الله أى من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أى إذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم أولئك فى ضلال مبين غواية ظاهرة لله نزل أحسن الحديث فى ايقاع اسم الله مبتدا أو بناء نزل عليه تفخيم لأحسن الحديث كتابا بدل من أحسن الحديث أو حال منه متشابها يشبه بعضه بعضا فى الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك مثانى نعت كتابا جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها لأن القصص المكررة وغيرهما لا تكون الا متشابهة وقيل لأنه يثنى فى التلاوة فلا يمل وإنما جاز وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشىء هى جملته ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات أو منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانية تقشعر تضطرب وتتحرك منه جلود الذين يخشون ربهم يقال اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية

تقشعر منها جلودهم وفى الحديث إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنا ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أى إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة وعدى بالى لتضمنه معنى فعل متعد بالى كانه قيل اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لأن رحمته سبقت غضبه فلا صالة رحمته إذا ذكر الله لم يخطر بالبال إلا كونه رؤوفا رحيما

أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون (24) كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (25) فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (26) ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون (27) قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون (28) ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (29) إنك ميت وإنهم ميتون (30)

الزمر 29 - 23

وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لأن محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب ذلك اشارة إلى الكتاب وهو هدى الله يهدى به من يشاء من عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتداء ومن يضلل الله يخلق الضلالة فيه فماله من هاد إلى الحق أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن أمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان إذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن بقى بها وجهه لأنه أعز اعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقى النار إلا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل للظالمين أن تقول لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون أى كسبكم كذب الذين من قبلهم من قبل قريش فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بينما هم آمنون إذا

فوجئوا من مأمنهم فأذاقهم الله الخزى الذل والصغار كالمسخ
والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله فى الحياة الدنيا
ولعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون لآمنوا ولقد
ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ليتعظوا
قرآنا عربيا حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا
فتذكر رجلا أو انسانا توكيدا أو نصب على المدح غير ذى عوج
مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل مستقيما للاشعار بأن
لا يكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون الكفر
ضرب الله مثلا رجلا بدل فيه شركاء متشاكسون متنازعون
ومختلفون ورجلا سلما مصدر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أى ذا
خلوص له من الشركة سالما مكى وأبو عمرو واى خالصا له هل
يستويان مثلا صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالاهما
وإنما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرىء مثلين
الحمد لله الذى لا إله إلا هو بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون به

ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون (31) فمن أظلم ممن
كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى
للكافرين (32) والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون (
33) لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين (34) ليكفر
الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا
يعملون (35)

الزمر 33 - 30
غيره مثل الكافر ومعبوديه بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع
واختلاف وكل واحد منهم يدعى أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه
فى مهن شتى وهو متحير لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم
يعتمد فى حاجاته وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع
وقلبه أوزاع والمؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع إنك
ميت أى ستموت وإنهم ميتون وبالتخفيف من حل به الموت قال
الخليل أنشد أبو عمرو ... وتسألنى تفسير ميت وميت ... فدونك قد
... فسرت إن كنت تعقل
فمن كان ذا روح فذلك ميت ... وما الميت إلا من إلى القبر يحمل ...

...

كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم أنفسكم اى إنك وإياهم فى عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان ثم إنكم أى انك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب يوم القيامة عند ربكم يختصمون فتحتج انت عليهم بأنك بلغت فكذبوا واجتهدت فى الدعوة فلجوا فى العناد ويعتذرون بمالا طائل تحته تقول الأتباع أطعنا ساداتنا وكبراءنا وتقول السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون قال الصحابة رصى الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبى العالية نزلت فى أهل القبلة وذلك فى الدماء والمظالم التى بينهم والوجه هو الأول ألا ترى إلى قوله فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للدين تكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه وكذب بالصدق بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع له من غير وقفة لأعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون أليس في جهنم مثوى للكافرين أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق وللام في الكافرين إشارة إليهم والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذا قال تعالى أولئك هم المتقون وقال الزجاج روى عن علي رضي الله عنه أنه قال والذي جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر الصديق رضي الله عنه وروى أن الذي جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق

أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد (36) ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام (37) ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي

الله عليه يتوكل المتوكلون (38) قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون (39)

الزمر 39 - 34
به المؤمنون والكل صحيح كذا له قاله والوجه في العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لأن التغاير يستدعي إضمار الذي وذا غير جائز أو اضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون إضافة أسوأ وأحسن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج أعدل بني مروان أليس بالله بكاف أدخلت همزة الانكار على كلمة النفي فأفيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها عبده أي محمدا صلى الله عليه وسلم عباده حمزة وعلى أي الأنبياء والمؤمنين وهو مثل انا كفيناك المستهزئين ويخوفونك بالذين من دونه أي بالأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك مضرتها لعيبك إياها ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ثم اعلم بأنهم مع عبادتهم الأوثان مقرون بأن الله تعالى خلق السموات والأرض بقوله ولئن سألتهم من خلقى السموات والأرض ليقوان الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بفتح الياء سوى حمزة بضر مرض أو فقر أو غير ذلك هل هن كاشفات ضره دافعات شدته ف أوارادنى برحمة صحة أو غنى أو نحوهما هل هن م مسكات رحمته كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الأصل بصرى وفرض المسألة في نفسه دونهم لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها بأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر أو برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك فلما أفحمهم قل الله تعالى قل حسبي الله كافيا لمعرة أوثانكم عليه يتوكل المتوكلون يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله وإنما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه لانهن إناث وهو اللات والعزى ومناة وفيه تهكم بهم وبمعبوديهم قل يا قوم اعملوا

على مكانتكم على حالكم